الزيارة بين النساء

على ضوء الكتاب والسنة

بقلم

خولة عبد القادر درويش

الزيارة بين النساء

على ضوء الكتاب والسنة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

الطبعة الرابعة
١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م

الناشر
مكتبة السوادي للتوزيع
ص.ب - ٤٨٩٨ جدة ٢١٤١٢ - ت: ٦٨٨٤٢١٢
فاكس ٦٨٧٨٦٦٤

الزيارة بين النساء

على ضوء الكتاب والسنة

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

بقلم
خولة عبد القادر درويش

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي أراد للمرأة الستر والعفة، ونقلها من الضعة والامتهان في حمأة الجاهلية إلى العزة والكرامة في ظلال الإسلام.

الحمد لله، الذي شرع لها ما يصونها ويعدها ابنة بارة وزوجة صالحة وأماً رؤوماً وقورة في مظهرها، قارَّة في منزلها لا صخَّابة في الأسواق ولا جوالة في المنتديات، وبعد:

أختي المسلمة: لعلك سألت نفسك يوماً وأنت تتهيئين لزيارة إحدى صاحباتك وتقتطعين من وقت أسرتك ساعات تمضينها فيها:

ما موقف الشرع من هذه الزيارة؟

وأيها أفضل مخالطة الناس أم العزلة عنهم؟

وهذه المخالطة العشوائية التي لا تأبه لها كثير من النساء، أين هي في ميزان الإسلام؟

وكيف تكون زياراتنا من حيث الهدف والتنفيذ؟

وما الضوابط الشرعية التي يتم الإختلاط بالناس وفقها؟

وما مظهر المرأة وزينتها أمام صاحباتها؟.

كثيراً ما كانت تراودني هذه الأسئلة وأمثالها. فطفقت أبحث لأعرف

الأحكام الشرعية لنفسي أولاً، ثم لتشاركني في معرفتها أخوات لي يحرصن على ما أحرص عليه.

وكان عملي لا يتعدى جمع ما ذكر في الموضوع الواحد من الآيات والأحاديث والأحكام الفقهية وترتيبها، وذلك حرصاً على عدم القول في الدين بالرأي دون دليل شرعي، وحرصاً على اتباع السنة، ففي اتباعها النجاة والسعادة.

قال أبو الحسن بن علي: من علامات السعادة على العبد: تيسير الطاعة عليه، وموافقة السنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن أخلاقه مع الإخوان، وبذل معروفه للخلق، واهتمامه للمسلمين ومراعاته لأوقاته.

وسئل: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: الطرق إلى الله كثيرة وأوضح الطرق وأبعدها عن الشُّبَه: اتباع السنة قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونية؛ لأن الله يقول: ﴿إن تطيعوه تهتدوا﴾.

فقيل له: كيف الطريق إلى السنة؟ فقال: مجانبة البدع، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء المسلمين، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريقة الاقتداء[1].

فاتباع السنة يجنبنا عثرات الطريق. فبدل التخبط بين الحق والضلال والخطأ والصواب يكون عملنا صواباً باتباعنا السنة قال الفضيل بن عياض: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً».

«والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة»[2].

---

(١) الاعتصام ٩٢/١.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٢٣/٢٨.

وقد قسمت البحث إلى قسمين:

القسم الأول: ويظهر المنهج السوي للإسلام في الاستفادة من الوقت والبعد عن تبديده سدى، وأنواع الزيارات من حيث الحرمة والإباحة والوجوب.

القسم الثاني: وفيه تتجلى بعض مظاهر الحضارة الإسلامية الهادفة النظيفة في آداب الخروج: من استئذان الزوج واستئذان أهل البيت المضيف ولباس المرأة في الطريق وأي جناية عليها في السفور وهل تجب مرافقة المحرم لها أم لا؟ وما مظهرها أمام النساء وما يتبع الزيارة من الضيافة والمجاملات الإسلامية وما يحرم في الزيارات وما يجب اجتنابه.

إن مما يملأ القلب حرقة وأسى رؤية أفواج النساء بعد العصر وقد أثقلن أنفسهن بالحلي، واصطبغن بألوان الدمى، يتهادين إلى بيوت صديقاتهن للثرثرة فضلاً عن الحرام من القول. والزيارات بحالتها الراهنة ما هي إلا مظهر من مظاهر انهزام المرأة وتخاذلها عن القيام بواجباتها الأسرية وهروب من التبعات المنزلية لتمضي مع صويحباتها فترة لهو ولغو. وهي حالة مرضية من حيث الهدف والمضمون، فحري بنا أن نسعى حثيثاً للعلاج قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ويعض أصابع الندم - لا سمح الله -.

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾(١).

---

(١) سورة الفرقان، الآيات ٢٧ - ٢٩.

ولما كان للمرأة من مكانة عظيمة في توجيه الناشئة وغرس العقيدة الصافية في نفوس الأبناء - أجيال المستقبل - كان لا بد من محاولة جادة للاستفادة من وقتها، وعدم إضاعته سدى في مجاملات تافهة، ومظاهر فارغة..

لقد كانت المرأة أمًّا وزوجة خير عون على الخير لما تطلعت نحوه، وشر دافع نحو الخراب والدمار لما سعت إليه. كانت مطية للأفكار الهدامة في القرن العشرين، وستكون مشعل نور للأجيال إن تمسكت بعقيدتها ودينها.

لكل ذلك قدمت هذا البحث راجية من المولى أن يجعله لبنة تعين الأسرة المسلمة على إكمال رسالتها. إنه سميع مجيب.

والله أسأل أن يجعل عملنا جميعاً خالصاً صواباً. وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه.. وأن يلهم مسلمة عصرنا رشدها لتعود كسالفتها الصالحة مناراً للأجيال تضيء لهم الطريق وتدل على كل خير وفضيلة والله الموفق لما يحبه ويرضاه.

تمهيد

أهمية الوقت وأضرار إضاعته

لقد جرت العادة في أكثر بلادنا الشرقية أن تخصص المرأة فترة بعد العصر لاستقبال صديقاتها أو زيارتهن على اختلاف في طريقة الزيارة أهي دورية منظمة أم عفوية. وأيا كانت الحال لا يخلو البيت يومها من إعلان حالة الطوارىء فيه فاستعدادات فوق العادة تستنزف الجهد وتضيع الوقت وتبعثر المال. وتحول يوم الاستقبال إلى مباراة بين الأسر فيا يقدم للضيوف وفي إبراز مظهر البيت ولباس أهله. ولو سئلت غالبية النساء عن الهدف من هذه الزيارة، لكان أحسن ما يفصحن به: أنه التلاقي لقتل الوقت والتسلية ودفع السأم والملل عنهن.

ولا أدري هل الوقت إلا عمر الإنسان الذي يسأل عنه؟ ومتى السؤال؟ إنه يوم الفزع الأكبر.. ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[1].

عن أبي بردة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيا أفناه، وعن علمه ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم

---

(١) سورة الإنفطار، آية ١٩.

أنفقه، وعن جسمه فيا أبلاه»[1].

ومن السائل؟ إنه رب العالمين الذي خلق الجن والإنس لعبادته لا للهو ولا للتسلية ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[2].

فماذا نقول لرب العالمين إذا سئلنا عن الوقت المهدور، الذي إن لم يخل من المحرمات، فلا يخلو من لغو الكلام والثرثرة التي ذمها الرسول ﷺ بذم صاحبها بقوله -:

«إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتشدقون والمتفيقهون»[3]..

ومن أضاع وقته فقد أضاع جزءاً لا يعوض من حياته، وجدير أن تطول عليه حسرته.

وهل الوقت للمرأة وحدها؟ أين حق الزوج والأولاد؟ ومتى تؤدي حقوق مجتمعها وأمتها الإسلامية؟

لمن تترك مهمتها إذا كان همها الخروج من البيت واللهو الفارغ؟ وقد تقول إحداهن: إنها أدت واجباتها ظناً منها أن مهمتها محصورة في التنظيف، وإرضاء الزوج والإنجاب، وإن التفتت إلى تربية من أنجبتهم فقد لا يتعدى اهتمامها اطعامهم وكسوتهم المناسبة ودراستهم المتفوقة.

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح، الترغيب والترهيب ٣٩٦/٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية ١٧.

(٣) أخرجه الترمذي في البر والصلة من حديث جابر وحسنه. وهو في المسند ١٩٣/٤ «ينظر شرح السنة ٣٦٧/١٢».

لا يا أختاه، فأنت مربية الأجيال، وممولة للمجتمع المسلم ببُناتِه من نساء ورجال.

إن من واجبي وواجبك: التربية الرشيدة لأبنائنا وإعدادهم إعداداً إسلامياً يجعلهم قادرين على حمل الأمانة، والنهوض بالأمة وبناء المجتمع الفاضل المنشود.

فإن تركت وإياك أبناءنا، والتفتنا للتسلية فقد خلفنا أبناءً هم الأيتام حقا رغم وجود أبويهم.

ليس اليتيم الذي قد مات والده قد كان ذلك في القرون الأولى
إن اليتيم هو الذي تلقى له أمّا تخلت أو أباً مشغولاً

بل من فقد والديه بالموت، قد يجد من يشفق عليه ويرعاه ويحنو عليه، أما من فقدها في اللهو عنه فأنى يجد من يرحمه ويفطن لمأساته؟

فالمرأة المشغولة بنفسها دائماً لن تجد الوقت الكافي للإشراف على فلذات كبدها، وتوجيههم ومتابعتهم والأنس بهم، مما يساعدها على أداء رسالتها وإرضاء ربها.

صحيح أن الدنيا - وهي دار الامتحان - مليئة بالمتاعب والصعاب وفي اللقاء تسلية ومؤانسة.. لكن هل التسلية غاية من تشعر أنها على ثغر من ثغور الإسلام فلا يؤتى من قبلها؟ أم هي غاية العابثات؟ أما وإن الترويح ضروري بين الفينة والأخرى، فليكن على غير حساب الأخريات وأوقاتهن...!!.

كثيراً ما نشكو من غزو أعدائنا الفكري.. وأننا مستهدفون محاربون فهل أعددنا العدة لمجابهتهم، أو على الأقل هل حصنا أنفسنا ضدهم روحياً وثقافياً لنطالب بالتسلية؟

وما تنصر الدعوات وتنتشر بالتشكي والأسى.

إن ما نعانيه يوجب علينا أن نراجع واقعنا على أسس إسلامية لنستطيع النهوض من كبوتنا. وإلا ستبقى آمالنا سراباً وأمانينا حلماً نرجو أن يتحقق، وهيهات أن يتحقق بدون عمل وجهد وجهاد.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾(١).

إن العقوبات التي يوقعها الله في أمتنا ما هي إلا لتخاذلنا عن نصرة ديننا وعدم القيام بواجبنا، والانهزامات التي أصابتنا قد ساهمت بها المرأة من حيث لا تدري يوم بدأ دورها ينحسر وتخلت عن القيام بواجبها كما ينبغي في التربية والتنشئة والتعليم.

وهذه الحقيقة المؤلمة التي تدمي القلب وتحز في النفس، تدفعنا في الوقت نفسه إلى الاستفادة من أوقاتنا للقيام بمهمتنا التي سنسأل عنها «المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»(٢).

فلنقم بواجبنا في تربية رجال وأمهات المستقبل، ثم لنلتفت إلى التسلية. هذا وأن الرسول ﷺ دلنا على طريقة لإبعاد الهم عن النفس: ألا وهي تمكين الصلة بالله، نقبل عليه بالطاعات، ونجعل همنا الدار الآخرة، فما الهم إلا نتيجة الحرص على الفانية.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة.

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٦٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٢١٣.

ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له »[1].

وقال تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[2].

« فالذين لا يتطلعون إلى أبعد من هذه الأرض يتلطخون بوحلها ودنسها ورجسها، ويستمتعون فيها كالأنعام، ويستسلمون فيها للشهوات والنزعات. ويرتكبون في سبيل تحصيل اللذة الأرضية ما يؤدي بهم إلى جهنم...

والذي يريد الآخرة لا بد وأن يسعى لها سعيها، فيؤدي تكاليفها وينهض بتبعاتها ويقيم سعيه لها على الإيمان. وليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

والسعي للآخرة لا يحرم المرء من لذات الدنيا الطيبة، إنما يمد البصر إلى آفاق أعلى فلا يكون المتاع في الأرض هو الهدف والغاية »[3].

ولقد قال تعالى مبيناً مدى الضيق والضنك، والعيش النكد الذي يكون به الغافل المعرض عن ذكر الله، وذلك في الدنيا قبل الآخرة:

---

(١) رواه الترمذي/٢٥٨٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيتين ١٨ - ١٩.

(٣) في ظلال القرآن /٤/٢٢١٨.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(١).

فلنجعل غايتنا رضىٰ الله وسبيلنا اتباع شريعته. عندها نشعر أن لا فراغ يثقل على النفس ويجلب الهم والحزن. بل أوقاتنا معمورة بذكر الله وطاعته، والحياة تصبح كلها عبادة وقربة واستفادة من كل لحظة في حياة الإنسان، عملا بقول المصطفى ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(٢).

أسباب شرح الصدور:

«أعظم أسباب شرح الصدور: **التوحيد**: على حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح الصدر قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(٣) وقال: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٤) فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

---

(١) سورة طه، الآيات ١٢٤ - ١٢٦.
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية مرسلا. وأخرجه الحاكم ٣٠٦/٤ موصولا. ينظر شرح السنة حـ ٢٢٤/١٤.
(٣) سورة الزمر، آية ٢٢.
(٤) سورة الأنعام، آية ١٢٥.

- ومنها: العلم فإنه يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا. والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل العلم المورث عن الرسول ﷺ وهو العلم النافع فأهله أشرح الناس صدوراً وأوسعهم قلوباً وأحسنهم أخلاقاً وأطيبهم عيشاً. ومنها: الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى ومحبته بكل القلب والإقبال عليه والتنعم بعبادته فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر: الإعراض عن الله تعالى وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره ومحبة سواه، فإن من أحب شيئاً غير الله عذب به وسجن قلبه في محبة ذلك الغير. فما في الأرض أشقى منه ولا أنكد عيشاً ومن أسباب انشراح الصدر: دوام ذكره على كل حال وفي كل موطن، فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه.

- ومنها: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكن من المال والجاه والنفع بالبدن. وأنواع الإحسان. فإن الكريم المحسن أوسع الناس صدراً، وأطيبهم نفساً وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً وأنكرهم عيشاً وأعظمهم هماً وغماً.

- ومنها: ترك الفضول من النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم. فإن هذه الفضول تستحيل آلاماً وغموماً وهموماً في القلب، تحصره وتحبسه وتضيقه ويتعذب بها، بل غالب عذاب الدنيا والآخرة منها. فلا إله إلا الله ما أضيق صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم، وما أنكد عيشه وما أسوأ حاله وما أشد حصر قلبه»[1].

---

(١) زاد المعاد ١٥٢/١ - ١٥٣.

وإن كان ابن الجوزي قد عجب من أهل زمانه وإضاعتهم للوقت فقال: «رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً، وإن طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر، وإن طال النهار فبالنوم وهم في أطراف النهار على دجلة، أو في الأسواق تشبههم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد للرحيل إلا أنهم يتفاوتون، وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة»[١].

فماذا نقول نحن عن الناس في زماننا؟ وقد أصبح العبث الفارغ أساس حياة أكثرهم! والتبرم بالحياة سبباً في أمراض نفسية غريبة، وصار الضيق والهلع من المجهول شبحاً يطارد ضعاف النفوس والإيمان.

إن أساليبهم في اللهو وإضاعة الأوقات تفوق الخيال. فبعد السهر والسمر على شتى البرامج في وسائل اللهو الحديثة المحرمة والمباحة: النوم حتى الضحى واللهث بقية النهار للدنيا فقط، وفي أعمال الدنيا. ولا نقول لنائمات الضحى إلا كما قال رسول الله ﷺ وقد أيقظ ابنته فاطمة رضي الله عنها لما كانت مضطجعة متصبحة: «**يا بنية قومي فاشهدي رزق ربك، ولا تكوني من الغافلين. فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس**». رواه البيهقي

فمن الغفلة والحرمان هذه النومة. وذلك إن لم يكن لها مبرر شرعي كمعين على قيام الليل أو لسبب صحي مثلاً.

وكثرة النوم والتناوم هو شأن الخاملين اللاهين. أما الجادون فيحرصون على أوقاتهم حرص الشحيح على ماله أو أشد حرصاً.

---

(١) صيد الخاطر ١٤٢.

والأمة الجادة لا تعرف الإسراف في إضاعة الوقت.

حقاً «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[1].

فمغبون من يضيع رأسماله - الصحة والوقت - إذ يندم حيث لا ينفع الندم.

أيهما أفضل المخالطة أم الإنفراد؟

وكأني بك أختي المسلمة تتساءلين: وهل هذا يعني البعد عن الناس وعدم الاختلاط بهم؟!

«**إن اختيار المخالطة مطلقاً خطأ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ**»[2].

والإسلام دين تجمع وألفة والاختلاط بالناس والتعارف بينهم من تعاليمه الأساسية. وقد فضل الرسول ﷺ المسلم الذي يخالط الناس عن ذاك الذي هجرهم ونأى عنهم.

«**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم ودينكم لا تكْلِمونَه»[3].

وقال علي رضي الله عنه: «تزاوروا وتذاكروا الحديث فإنكم إن لم تفعلوا يدرس»[4].

وقال الشافعي رحمه الله: «الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة للسوء. فكن بين القبض والبسط»[5].

---

(١) رواه البخاري في الرقاق والترمذي في الزهد.

(٢) فتاوى ابن تيمية ١/ ٤٢٦.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٨/٥٦٥.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٨/٥٤٥.

(٥) مختصر منهاج القاصدين/ ابن قدامة ص ١٥٠.

وكيف يكون الإحسان للجيران والأقارب إلا بمواصلتهم ومعرفة أحوالهم؟! فكم من زيارة دلت على خير في الدنيا والآخرة. مسحت بها المسلمة آلام أختها المصابة، تقوي عزيمتها، تشد أزرها وتدفعها للصبر، تحيي عندها حسن الظن بالله وقرب الفرج، تشاركها أفراحها، تعلمها ما تجهله من أمور الدنيا والدين، تتناصح وإياها وتتشاور لما فيه خيرها وخير المسلمين.

«وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر لرفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها، يجتلبون بها المصلحة وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة. ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من آمر وناه، وإذا كان لا بد من طاعة آمر وناه فمعلوم أن دخول المرء في طاعة الله ورسوله خير له»[1].

على أن أمر العزلة والاختلاط وما يتبعه من إنشاء الصلات وتكوين الصداقات يخضع لأحكام شتى.

فكل اعتزال عن الأمة يفوت جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يضعف من جانب الدفاع عن الإسلام أمام خصومه فهو جريمة ولا يقبل من صاحبه عذر. والناس بعدئذ طبائع: منهم الذي يهرع إلى المجامع الحافلة وسرعان ما يتصل بهذا وذاك ويستأنس بتصفح الوجوه ومحادثة القريب والبعيد، ومنهم من تزج به في الأحفال المائجة فإذا هو يقيم حول نفسه سوراً يطل منه على الناس بحذر، ويتوارى خلفه إن

---

(1) فتاوى ابن تيمية ٢٨/٦٢ - ٦٣.

قصده قاصد كلتا الطبيعتين هداها الإسلام فهجها السوي فيقال للأول: خالط الناس ودينك لا تكلمنه.

ويقال للآخر: المؤمن هين لين آلف مألوف.. على أن الإسلام أوجب اعتزال الفتن فإذا اضطربت البلاد وتهارس أهلها على الدنيا وانتقضت عرى الفضائل، فإن مقاطعة الفساد لون من استنكاره وذلك في حدود مراتب التغيير التي شرعها الله لخصومة المنكر من تغيير باليد فاللسان فالقلب »[1].

وحقيقة الأمر أن «الخلطة تكون واجبة أو مستحبة والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة والانفراد تارة »[2].

فهلمي أختي المسلمة نتعرف على أحكام المخالطة لنعبد الله على بصيرة ولتتحول زياراتنا من عادة - تذهب الوقت والجهد والمال - إلى عبادة[3] نؤجر عليها إن شاء الله.

ما يؤخذ بعين الاعتبار من الضوابط الشرعية قبل الزيارة:

هناك خطوط عريضة للزيارات - التي هي تعبير واضح عن الود والصلة - لا بد للمسلمة من التعرف عليها والالتزام بها وهي:

---

(١) خلق المسلم للغزالي - ٣١٩ -.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٤٢٥/١.

(٣) العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم.. وأمثال ذلك من العبادة. «العبودية لابن تيمية ص ٣٨ ».

أ - الخروج في الحالات المشروعة فقط:

فقرار المرأة الرئيسي في بيتها قال تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾. أما الخروج منه فهو استثناء وبالحدود المشروعة فقط، وبالطريقة المشروعة. وأسارع إلى القول: لا يظنَّ أحد أن هذا يعني البقاء الدائم في البيت. وعدم خروج المرأة منه إلا إلى بيت زوجها أو قبرها كما يقول بعض الجهلة. ذلك أن العزلة القاتلة ما هي إلا عقوبة شرعية جعلها الله في بدء الإسلام لغير العفيفات ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[1].

وكان ذلك العزل والحبس عقوبة لهن إلى أن شرع حد الزنا.

أما المسلمة العفيفة الحريصة على مرضاة ربها فتخرج حسبما شرع، وبحدود ضيقة لأنها تعلم قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾[2]. فتحرص على الالتزام به.

ب - الاستئذان من الزوج: إذ لا يحل للمسلمة أن تخرج من بيتها دون إذن زوجها.

جـ- الالتزام بالحجاب الإسلامي وما يتبعه من أمن الفتنة وعدم الاختلاط وسنتعرض في صفحات قادمة إلى مزيد من التفصيل في هذه النواحي.

---

(١) سورة النساء، آية ١٥.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

وفيما عدا هذه الضوابط الشرعية والتي هي لصيانة المجتمع: الرجل والمرأة على السواء. فما يخص الرجل من أحكام في الزيارات يعم المرأة أيضاً إذ هي مكلفة بالعبادات التي يكلف بها الرجل، ولها من الثواب ما له إن قام بها. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[1].

ولا يسعنا إلا أن ندعو كدعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «اللهم لا تدعنا في غمرة، ولا تأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين».

وكدعاء عمر رضي الله عنه: «اللهم إنا نسألك صلاح الساعات والبركة في الأوقات»[2].

والزيارات على أنواع وقد قسمتها حسب الأحكام الشرعية وتسهيلاً للبحث إلى زيارات واجبة ومحرمة ومستحبة وجائزة. وسوف أتعرض بعدها إلى زيارة أهل الكتاب إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة النحل، آية ٩٧.

(٢) صيد الخاطر ١٤٢.

القسم الاول

أنواع الزيارات

أولًا : الزيارات الواجبة

ثانيًا : الزيارات المستحبة

ثالثًا : الزيارات الجائزة

رابعًا : الزيارات المحرمة

أنواع الزيارات

أولاً: الزيارات الواجبة

١ - زيارة الوالدين:

لعل من فضول القول أن من بر الوالدين زيارتها. ومكانة الوالدين أسمى وأكرم من مجرد زيارة عابرة لهما. إن الإسلام الذي جعل برهما في المكانة الثانية بعد الإيمان بالله وجعل عقوقهما من أكبر الكبائر جعل حقهما عظيما وتكريمهما واجبا. فمهما بلغت مشاغل المرأة المنزلية، فعليها ألا تنسى هذا الواجب العظيم، فلا تفرط ببر والديها، وتسعى إلى الإحسان إليهما وزيارتهما وتفقد أحوالهما ومساعدتهما والتلطف لهما. قال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[١]

فهو الشعور بالفضل، ومحاولة رد الجميل بكل ما من شأنه أن يدخل البهجة إلى نفوسهما مما يرضي الله ورسوله، ويبتعد عما يجرح مشاعرهما.

---

(١) سورة الاسراء، الآيات ٢٣ - ٢٤.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**. قلت: ثم أي؟ قال: **بر الوالدين**. قلت: ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**»[1].

فالبر بالوالدين آكد من الجهاد في سبيل الله. وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ واستأذنه في الجهاد فقال: «**أحي والدك؟** قال: **نعم**. قال: **ففيهما فجاهد**»[2].

وهكذا دعا الرسول ﷺ السائل إلى الانقياد لأوامر الوالدين وإكرامهما رغبةً في ثواب الله لينال ثواب الجاهد في سبيل الله.

وكلنا يعلم ما للمجاهد في سبيل الله من درجات رفيعة.

وهذه أسماء رضي الله عنها تقول: «قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: **نعم، صلي أمك**»[3] تصلها رغم شركها استجابة لأمر الرسول ﷺ وعملاً بقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾[4] وإن من بر الوالدين وحسن صحبتها، زيارتها الدائمة وألا تترك مواصلتها على هامش الأعمال اليومية وإنما هي واجب شرعي حتمي.

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد.

(٢) رواه مسلم في البر.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب باب صلة الوالد المشرك. ومسلم في الزكاة باب فضل النفقة والصدقة.

(٤) سورة لقمان، آية ١٥.

وماذا يقال عن أبناء وبنات يشتهي الأبوان لقياهم، ولا مجيب لهما فيسعى الآباء بعد أن أضناهم الشوق لرؤية أبنائهم؟!.

هل يقال عن مثل هؤلاء غير العقوق؟ وهو من أكبر الكبائر وإن سدوا حاجة والديهم مادياً.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر- ثلاثاً؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت**»(١).

فإهمال الوالدين والتشاغل عنهما، وعدم أداء حقهما، هو الخسارة الحقة للأبناء.

وأي خسارة أكبر من خسارة الجنة يفوتها بعقوقهما؟!.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه. قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة**»(٢) رواه مسلم.

وأينا ترضى ألا يزورها أبناؤها ولا يظهرون لها المودة والرحمة؟!

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم. وعفوا تعف نساؤكم**» رواه الطبراني باسناد حسن(٣).

بل لقد جعل الإسلام بر الوالدين وإيثارهما على الولد والأهل من الشمائل التي تستحق أفضل الجزاء.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب ومسلم في الإيمان.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦/١٠٨ - رغم أنفه - أي لصق بالرغام وهو التراب.

(٣) ينظر الترغيب والترهيب ٣/٣١٨.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

قال أحدهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب شجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج... الحديث» رواه البخاري ومسلم[1].

نحن لا نطلب حمل غبوقهما من المساء حتى الصباح كما فعل صاحب الغار. وإنما نريد لهما ما أوجبه الإسلام من امتثال لطاعتهما فيما لا شرك فيه، وإسراع إلى تلبية رغباتهما. فقد صنعا لنا الكثير وقدما لنا كل نفيس، وجهد جهيد، فما بالنا لا نرد لهما بعض أفضالهما؟ فيأنسان بنا بعد شيبة. ونريحهما بعد عجز.

إنه الوفاء والإحسان وأداء الحقوق.

وإذا عجزت المسلمة عن بر والديها وأداء حقوقهما، فهي عن عمل الخير مع الآخرين أعجز، ولا خير ينتظر منها.

---

(١) ينظر الترغيب والترهيب ٣/٣١٨.

٢ - إجابة الدعوة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن شاء طعم وإن شاء ترك** »[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول:

« شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويُترك المساكين ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله »[٢].

« فإجابة الدعوة إذا كانت لعرس واجبه عند العلماء عند تحقق شروط ذلك وانتفاء موانعه. أما وليمة الموت، فبدعة مكروه فعلها والإجابة عليها. أما وليمة الختان، فهي جائزة من شاء فعلها ومن شاء تركها. وكذلك وليمة الولادة إلا أن يكون قد عق عن الولد فإن العقيقة سنة »[٣].

قال ابن عبد البر: « لا خلاف في وجوب الإجابة الى الوليمة لمن دعي إليها إذا لم يكن فيها لهو، وبه يقول الشافعي ومالك والعنبري وأبو حنيفة وأصحابه »[٤].

أما إن كان فيها دف فليس بمنكر، لحديث عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة فقال لها الرسول ﷺ: « **يا عائشة ما كان معكم من**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم في النكاح.
(٣) فتاوى ابن تيمية ٣٢/٢٠٦.
(٤) المغني ٧/٥.

لهو؟ فان الأنصار يعجبهم اللهو» وفي رواية: **هل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني**. قلت: تقول ماذا؟ قال تقول:

أتينــــاكم أتينـــاكم فحيـــانـــا وحيـــاكم
ولولا الـــذهــب الأحمر مـــا حلــت بواديـــكم
ولولا الحنطـــــة السمراء ما سمنت عذاريكم..[1]

فالآلة المشروعة هي الدف. والكلام الجائز: ما طرف من القول أو ما فيه شحذ العزائم، وليس فيه وصف للخدود والقدود، أو استهتار بتعاليم الشريعة، وإلا فهو اللهو المحرم، الذي يقود إلى العذاب المهين.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2].

«ولهو الحديث كل ما يلهي عن الخير من الغناء والملاهي والأحاديث المكذوبة وكل ما هو منكر»..

واخرج البخاري في الأدب المفرد وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في السنن عنه أيضاً في الآية قال: هو الغناء وأشباهه، وأخرج ابن جرير عن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن أبي الصهباء قال: سألت عبدالله ابن مسعود عن قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ قال: هو والله الغناء.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها. ينظر عون الباري جـ٥/٥٧٠.

(٢) سورة لقمان، آية ٦.

ولفظ ابن جرير: «هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو - يرددها ثلاث مرات»[1]

- فكيف بزيارة اللاهيات العابثات مع أشرطة لا تحمل إلا غناء عابثاً، وموسيقى محرمة،وقد تجر إلى الفجور وتصور الخنا وليالٍ جاهلية قدمت إلينا من ديار الشرق والغرب؟!.

«ويشترط في الداعي ألا يجوز هجره، فإن جاز كمبتدع ونحوه لم تجب، وكذلك مضحك بفحش أو كذب»[2].

وشروط إجابة الدعوة:

١ - ان يكون الداعي مسلماً.
٢ - ألا يختص بدعوته الأغنياء.
٣ - أن يدعو في اليوم الأول، فلو أولم ثلاثة أيام فأكثر لم تجب الإجابة أو تسن إلا في اليوم الأول..
٤ - ألا يحضرها من يؤذي المدعو أو تقبح مجالسته.
٥ - ألا يكون فيها منكر لا يستطيع تغييره.

والمشهور من أقوال العلماء الوجوب، وصرح به جمهور الشافعية والحنابلة بأنها «فرض عين ونص عليه مالك وعن بعض الشافعية والحنابلة أنها مستحبة»[3] وهكذا فالدعوة التي استوفت شروط إجابتها ولا اختلاط فيها ولا مباهاة ولا موسيقى ولا مغنيات يسمعهن الرجال. تسعى إليها المسلمة امتثالاً لأمر الشارع وأداءً لواجب ديني وطلبا للثواب من الله تعالى.

---

(١) فتح القدير ٤/٢٣٦.
(٢) المبدع ٧/١٨٠.
(٣) عون الباري ٥/(٥٧٤ - ٥٧٥).

٣ - الزيارة للتعلم والتعليم:

ففي وصية خاصة لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن - وحكمها يعم المسلمات الصالحات يقتدين بهن - قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[1]

وقال الله تعالى محذراً من كتم العلم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].

واللعنة وهي الطرد من الرحمة لا تكون إلا على محرم.

وكيف يكون عدم كتمان العلم وتبيينه إلا بالمخالطة والتعليم؟

ومن حُرِمت المدارس الرسمية لتتعلم بها، أو تعلم غيرها فهل تحرم أجر الاجتماع بأخوات في الله تعلمهن ويُعَلِّمْنَها؟ وهل المدارس وسيلة التعليم الوحيدة في الإسلام؟ وكلنا يعلم أن عائشة وأسماء ونسيبة وأم سلمة وغيرهن وغيرهن ما تخرجن من مدرسة ولا جامعة.

إن على المثقفة واجب الدعوة إلى الله في صفوف النساء، ولا سيما وقد تغافل الكثيرون عن استعدادات المرأة الخيرة فأهملوا دعوتها والاهتمام بهدايتها.

إن عليها دعوة بنات جنسها للإسلام، تصحح عقيدتهن وعبادتهن وسلوكهن «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه».

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات (١٥٩ - ١٦٠).

إن الزائرات للهو والتسلية يعدن إلى بيوتهن مثقلات بأوزارهن لما ضيعنة من أمانة، أما داعية الخير فبحسبها أن تعود بأجرها وأجر من تتبعها. وما أعظمه من مجلس وأجلها من زيارة تلك التي تكون لمدارسة آيات الله تحضرها الملائكة وتحفها الرحمة.

«مـا اجتمـع قوم في بيـت من بيوت الله يتلون كتـاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال: «ما بال لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ والله ليعلمن أقوام جيرانهم ويعظونهم ويفقهونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمَنَّ قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون أو لأعاجلنهم بالعقوبة في دار الدنيا»[٢].

فأي دعوة إلى العلم والتعليم أكثر من ذلك وفيها تهديد صريح بالعقاب العاجل إن أهمل التعلم أو التعليم.

وما التعليم إلا سبيل الرسول ﷺ وطريقة من اتبعه: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ﴾[٣].

ذلك أن العلم يصحح القلب ويهذبه ويهديه، ويربيه ويريه الطريق الحق، الذي يجب اتباعه، فيصبح العالم أكثر خشية لله وأقدر على نشر رسالته ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

---

(١) رواه مسلم في باب الذكر.

(٢) اخرجه ابن راهويه والبخاري والطبراني وأبونعيم، ينظر: حياة الصحابة ٣/١٧٣.

(٣) سورة يوسف، آية ١٠٨.

«وإن المعرفة الجيدة أسبق عند الله من العمل المضطرب ومن العبادة الجافة المشوبة بالجهل والتقصير. قال رسول الله ﷺ:

«فضل العلم خير من فضل العبادة» وقال: **«قليل العلم خير من كثير العبادة»**.. رواه الطبراني. وقال: **«أفضل العبادة الفقه»**.

وقال رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذر لئن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولئن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة»** رواه ابن ماجة.

والسر في هذا الحكم أن عبادة الجهال كصداقتهم قليلة الجدوى، وهم يضرون أنفسهم من حيث يريدون نفعها، ويؤذون أصدقاءهم من حيث يريدون راحتهم. وجهلة العباد يستمسكون بالدين استمساكاً شديداً، ويتعصبون له تعصباً ظاهراً، ولكنهم في ساعة رعونة وغباء يقفون منه الموقف الذي يلحق به الأذى والمعرة ويجر عليه المتاعب الجمة، أما أولو العلم فإن بصيرتهم الذكية، تحكم مسلكهم وتلهمهم الرشد فلو قل عملهم كثر ما يصحبه من سراء وبصر»[1].

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: «تفقهوا في الدين فإنه لا يعذر أحد باتباع باطل وهو يرى أنه حق ولا يترك حق وهو يرى أنه باطل»[2].

هذا ولم تكن المرأة المسلمة على عهد رسول الله ﷺ مهملة ولا منسية وإنما كان للنساء حظ من رسول الله ﷺ يعظهن ويجيب على أسئلتهن.

---

(١) خلق المسلم ٣٦٩.

(٢) كنز العمال ٢٢٨/٥.

فليهنك مجالس الخير التي توثقين بها صلتك بربك، وتقومين أخلاقك وتصرفاتك على الإسلام، وتوجهين غيرك بما فتح الله عليك من علم ومعرفة، إنك بتعليمك غيرك تنقذيهن من سطحية التفكير وضيق الأفق وعدم الثقة بالنفس، وتعيدين لأمتك الإسلامية شيئاً من جميلها لتنهض من عثرتها، وتعود بحق وجدارة خير أمة أخرجت للناس.

ولنا في السيدة عائشة رضي الله عنها قدوة حسنة في علمها ومشاركتها لعلوم عصرها المختلفة - من أنساب العرب والشعر والطب فضلاً عن العلم الديني: - عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «ما رأيت أحداً أعلم بشعر ولا فريضة ولا أعلم بفقه من عائشة»[(١)].

فما حال تمسكها بدينها بينها وبين مضاهاة الرجال بعلمها؟ وفتاتنا المسلمة اليوم أحوج ما تكون إلى وعي ديني يجنبها كثيراً من العثرات والمتاعب. ويؤهلها لحمل المسئولية في عصر تتصارع فيه الأفكار والمذاهب، فلا بد لها من قدر مناسب من الثقافة الفقهية لتعبد ربها على بصيرة، ولتعرف كيف تواجه الانحرافات الدينية - إن وجدت - تواجهها بعلم ومعرفة وأدلة شرعية لا بغضب وعاطفة وسطحية لا تغني شيئاً. تتعرف على الأفكار التي غزت بلادنا، وغزت عقول الكثيرات وتتعلم كيفية الرد على شبهاتهم بنضج وأصالة وإيمان عميق. ولا سيما وقد كثرت داعيات الأفكار الغازية من منسوبات الإسلام.

تتعرف على النظام الإسلامي، وما هي المذاهب الفكرية المعاصرة وما موقف الإسلام منها، وتعلم أنه نسيج وحده فيه غنى عن استيراد غيره من المذاهب. فهو مذهب متميز ونظام كامل للحياة في المجتمع والبيت والمادة والروح.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٥١٦/٨.

توسع أفقها بمعرفة أحوال الأمم وتاريخها، وبصفة خاصة تاريخنا الإسلامي الأول، فتنمي بذلك عـزة المؤمنة التي يجب أن تتحلى بها، وتعتبر بتاريخ الأمم السابقة.

تتسلح بألوان الثقافة المختلفة، ولا سيا ما يهمها كمسلمة. تهتم بأمر المسلمين لتكون منهم، فتعرف ما يجري في العالم الذي تعيشه من أحداث هامة، وما يعاني المسلمون من متاعب وما يقاسونه من صراعات ومشكلات لتشاركهم آلامهم وآمالهم.

هذا فضلاً عن إتقانها فن الطبخ والعلاقات الأسرية.

إذن زيارتها ليست لهواً ولا تسلية وإنما سعياً للأمثل وارتقاءً للأصلح لنجنب مجتمعنا المسلم البيوت الساذجة، والتربية العشوائية الغافلة، ولا يغيب عن بالنا أن السطحية هي سبب في انهيار كثير من الأسر التي كنا نأمل منها خيراً. وما انحرافات الأبناء ووقوعهم بين الإفراط والتفريط الا نتاج سطحية التفكير وانعدام التربية المتوازنة، وسببه ظن الكثيرين أن علم المرأة المطلوب إنما هو العلم الشرعي الذي يُعنى بمعرفة شعائر الدين التعبدية فحسب، وظنهم أن ما عداه فهو من الترف الفكري الذي لا شأن للمرأة به.

فما يحدث بعدها إلا أن تدفع المرأة للمجتمع أفراداً غلاة متطرفين، أو آخرين مترفين لاهين مترهلين عالة على أمتهم، لا فائدة منهم إلا تكثير غُثاء السيل.

لذلك وحتى لا تتبدد طاقاتنا في غير مرضاة الله، فلنجعل لكل زيارة غاية نسعى لها ولا ننسى «أن التعلم والتعليم روح الإسلام لإبقاء جوهره ولا كفالة لمستقبله إلا بها، والناس في نظر الإسلام أحد رجلين: إما متعلم يطلب الرشد، وإما عالم يطلب المزيد، وليس بعد ذلك من يؤبه له. قال رسول الله ﷺ: «العالم والمتعلم شريكان في الخير ولا خير

في سائر الناس»[1] رواه ابن ماجه.

أنا لا أقول إن الزيارات هي الوسيلة لتعليم المرأة فقط، وإنما هي محاولة للاستفادة من الوقت المهدور وتوظيف الزيارات لتعليم المرأة.

كما وأن على الرجل مسئولية كبيرة في تثقيف زوجته، أو أخته أو ابنته، فكما يسعى لتثقيف نفسه والاستزادة من العلم، فلم ينسى أو يتناسى مربية الأجيال؟!.

أليس أولى أن يخصص لها جزءاً من وقته للتعليم والتربية يوجهها نحو الخير؟! فلو هدى كل رجل امرأة لكان في ذلك خيراً كثيراً.

هلا عودها طلب العلم والمعرفة بأن أبدى اهتمامه، بما تقرأ وسألها عن رأيها في مقال طالعته أو صحيفة قرأتها، فاستفاد من وجهة نظرها أو صحح لها نظرة قاصرة، وفي كل ذلك يغرس الثقة في نفسها ويعدها لتواجه المجتمع بروح يقظة واعية داعية إلى ما يرضي الله، لا بأمية مطبقة، ثم إن من يهمل شريكة حياته ويجعلها خلفه لا يهتم بها لهو أكثر من يتأذى بها.

فها هو يرجع بعد مجابهة فكرية ليلقى رفيقته ويبثها همومه فلا تعيرها أكثر من نظرة بلهاء، لأنها لا تستوعب ما يقال، ولا تقدر نتائج ما يقول.

إن العلمانيين والملاحدة سبقوا أصحاب العقيدة السليمة والتوجيهات النيرة، إلى تثقيف المرأة أماً وزوجاً أو بنتاً أو اختاً. وأسهمت نساؤهم في العالم العربي والإسلامي نتيجة لتلك التربية في حمل راية السفور والفساد.

---

(١) خلق المسلم ٣٧٨.

فلماذا لا نسير على خطوات إيجابية في تثقيف المرأة الثقافة الدينية، ونزودها بأساليب التربية الإسلامية تربية جيل الذروة من أصحاب رسول الله ﷺ؟؟

لماذا لا نستفيد من طاقاتها قبل أن لا ينفع الندم؟

إني لأرجو جادة أن يعيد المسلمون الطيبون النظر في طريقة تعاملهم مع المرأة، ولن تضيع جهود تتضافر فيها الإمكانيات في هذه الأمة مع جيل الغربة الثانية.

٤ - صلة الرحم:

الرحم كل من بيننا وبينه قرابة، وقد دعا الإسلام إلى صلة الرحم لما لها من أثر كبير في تحقيق الترابط الاجتماعي ودوام التعاون والمحبة بين المسلمين. وصلة الرحم واجبة لقوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾[١].

وقوله: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ ﴾[٢].

وقد حذر تعالى من قطيعة الرحم بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء، آية ١

(٢) سورة الإسراء، آية ٢٦.

(٣) سورة الرعد، آية ٢٥.

وأي عقوبة أكثر من اللعن وسوء الدار تنتظر الذين يقطعون أرحامهم، فيحرمون أنفسهم أجر الصلة في الآخرة، فضلا عن حرمانهم من خير كبير في الدنيا، وهو طول العمر وسعة الرزق:

عن أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك. قالت: بلى. قال: فذاك لك**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**اقرأوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾**»(٢).

فمن الواصل للرحم؟

هذا ما يوضحه الرسول ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»(٣).

وأما أن تكون صلة الرحم رداً للجميل ومكافأة لا ابتداء. فالهدية مقابل الهدية، ومن لم يهدنا يحرم. والزيارة مقابل الزيارة، ومن لم يزرنا يقاطع ويهجر، فهي ليست الصلة المطلوبة، وإنما هي مجاملات فارغة وأعراف وتقاليد جوفاء، بعيدة عن روح الشرع وسماحة الحنيفية. روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن

---

(١) متفق عليه (صحيح الجامع الصغير وزيادته /٥٩٥٦/.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٢/١٦.

(٣) رواه البخاري وأحمد وأبو داوود والترمذي (صحيح الجامع الصغير (٥٣٨٥).

إليهم ويسيئون إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال: «إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» رواه مسلم[1].

والمل هو الرماد الحار. ومن يطيق أن يلقم الرماد الحار أعاذنا الله من قطيعة الرحم.

وصلة الرحم هي الإحسان للأقارب، وقد تكون مادية أو معنوية وأدنى صلتهم السلام عليهم وزيارتهم وعدم هجرهم.

والصدقة على الأقارب فيها أجر الصدقة وأجر الصلة.

عن ميمونة رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة لها، ولم تستأذن الرسول ﷺ. فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أني اعتقت وليدتي. قال: أو فعلت؟ قالت: نعم قال: «أما لَوْ أنك أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك»[2] أي لو منحت هذه الجارية خادمة لأخوالك زادك الله ثواباً جليلاً بسبب صلة رحمك.

وقد ترجم الصحابة تعاليم الإسلام وهديه سلوكاً عملياً، فقد وصلوا أقاربهم ،وأحسنوا إليهم، حتى وإن كانوا كفاراً.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها للناس يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك فقال رسول الله ﷺ: «إنما

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١١٥.
(٢) أخرجه البخاري في الهبة ومسلم في الزكاة.

يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة». ثم جاءت رسول الله ﷺ منها حلل فأعطى عمر منها حلة ثم قال: «إني لم أكْسُكَها لتلبسها فكساها عمر أخاً له مشركاً بمكة»(١).

وقد ورد في الإصابة أيضاً «أن جارية لصفية أتت عمر فقالت: إن صفية تحب السبت وتصل اليهود. فبعث إليها فسألها عن ذلك فقالت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها.. ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان. قالت: اذهبي فأنت حرة»(٢).

ثم إن تمتين العلاقة بين الأقارب يعين على ترابط المجتمع وتماسكه، فما أجمل سماحة هذا الدين الذي جعل أصحاب رسول الله ﷺ يصلون الرحم رغم اختلاف الدين والمعتقد. وهم الذين ضحوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل دينهم.

وكم يؤلم النفس أن نجد أبناء الأعمام والأخوال قد لا يعرفون بعضهم إلا في المدارس، أو الأماكن العامة. فلو كانت هناك الصلات الشرعية التي أرادها الإسلام لما حصلت هذه الجفوة والغربة بين الأقارب، والتي لا يرضاها الله للمسلم بين المسلمين الأباعد.

إن البعد عن منابع التربية القرآنية أوجد هذه الجفوة وصاغ هذه الغربة حتى بين الأقارب.

وما الزيارة إلا مظهر من مظاهر صلة الرحم، ووسيلة قوية لشد الأواصر، لا يجوز للمسلم أن يوصد قلبه وبيته دون أقاربه، لا يواسيهم ولا يعينهم ولا يشاركهم أفراحهم.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/٣٨.
(٢) الإصابة ٤/٣٣٩.

فإذا حصل ذلك، تفكك المجتمع وتهدمت أركانه وكيف يقوم المجتمع المتماسك والأقارب فيه متباعدون والأسر فيه مفككة؟ لا بد من ازالة أسباب القطيعة بفهم سليم لصلة الأرحام، ومن ثم لصلة المسلمين جميعاً لأنهم كالجسد الواحد.

٥ - عيادة المرضى:

من الزيارات الواجبة أيضاً: زيارة المرضى ومحاولة التخفيف عنهم. هؤلاء الذين أمضهم الألم وأقعدهم عن الصلات الاجتماعية لا نتركهم نهباً للوساوس والآلام النفسية التي تسببها الوحدة والشعور بالعزلة، وإنما من حقهم علينا معاودة زيارتهم المرة بعد المرة نأسو جراحهم ونخفف آلامهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس» متفق عليه[١].

ولن ينسى هؤلاء حال سلامتهم اليد الحانية التي مسحت آلامهم عند حاجتهم. مما يدعو إلى مزيد من التآلف بين المسلمين والتعاون على البر والتقوى والتضامن لما فيه الخير والصلاح.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت تأتي بالمرأة الموعوكة فتدعو بالماء فتصبه في جيبها وتقول: إن رسول الله ﷺ قال: «أبردوها بالماء فإنها من فيح جهنم».

فتعمل المسلمة وسعها لتخفف من آلام أختها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال: يا رب

---

(١) ينظر الترغيب والترهيب ٣١٧/٤.

كيف أعودك وأنت رب العالمين. قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده... »[١].

وعن معاذ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من خرج في سبيل الله كان ضامنا على الله عز وجل. ومن عاد مريضا كان ضامنا على الله عز وجل - ومن جلس في بيته لم يغتب أحداً كان ضامنا على الله عز وجل »[٢]. رواه الطبراني في الأوسط والكبير.

ومن تمام عيادة المريض أن يضع الزائر يده على جبهته ويسأله كيف هو؟ ويدعو له.

« كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض وضع يده عليه وقال: لا بأس طهور إن شاء الله »[٣].

وبحسبك أختي المسلمة أنك في خرفة الجنة حتى تعودي من زيارة المريضة « إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع »[٤]. وخرفة الجنة جناها.

أما في حالة المرض المعدي فيحسن عدم الزيارة، ويكتفى بالسؤال عن المريضة هاتفياً أو سؤال إحدى المقربات منها:

فقد قال رسول الله ﷺ عن الطاعون - وهو مرض معدٍ -: « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها. وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه »[٥].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٢٥.
(٢) حياة الصحابة ٢/٦٥٠.
(٣) فتح الباري ١٠/١٣٠.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٢٥.
(٥) شرح صحيح مسلم ١٤/٢٠٤.

كما يحسن عدم إطالة الزيارة، وتخير الوقت المناسب لها حرصاً على عدم الإضرار بالمريضة. إذ من القواعد الشرعية -لا ضرر ولا ضرار-.

أما أن تتخذ الزيارة للمرضى وسيلة لتسلية الأصحاء والترفيه عنهم، وخاصة إذا اصطحبت المرأة معها جوقة من الأطفال المزعجين الذين إذا انضموا لأطفال بيت المريضة هان المرض على صاحبته أمام هذه المنغصات.. فذلك يبتعد بالزيارة عن هدفها النبيل الذي شرعت من أجله.

ثانياً: الزيارات المستحبة

١ - التعزية:

وهي: «الأمر بالصبر والحمل عليه بوعد الأجر، والتحذير من الوزر بالجزع، والدعاء للميت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة»[١].

«ويستحب تعزية أهل الميت لما روى ابن ماجه وإسناده ثقات عن عمرو بن حرام مرفوعاً: **ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**».

وهي التسلية والحث على الصبر بوعد الأجر والدعاء للميت والمصاب وظاهر الخبر أنه لا حد لآخر وقت التعزية، فدل أنها تستحب مطلقا. وحددها بعضهم حتى ثلاثة أيام، ويكره بعدها لتهييج الحزن إلا إذا كان غائبا فلا بأس بها إذا حضر»[٢].

ولقد تركت المرأة المسلمة مثلاً يحتذى به في حسن صبرها ومواساتها لمن حولها حتى في أشد المصائب وقعاً على نفسها، وهي وفاة ابنها صنو نفسها. عن أنس رضي الله عنه قال: «كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل

---

(١) روضة الطالبين ٢/١٤٤.

(٢) المبدع ٢/٢٨٤.

ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي. فلما أصبح؛ أتى أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: أعرستم الليلة؟ قال: نعم.

قال: اللهم بارك لهما فولدت غلاماً..» الحديث.

وفي رواية أخرى: فقال رسول الله ﷺ: «لعل الله أن يبارك لهما في ليلتهما. قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ للقرآن»[1] رواه البخاري.

وأي خير ندعو إليه أفضل من الصبر؟!.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

«فالآية تدل على أن ثواب الصابرين وأجرهم لا نهاية له، لأن كل شيء يدخل تحت الحساب فهو متناهٍ وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه. وهذه فضيلة عظيمة ومثوبة جليلة تقتضي أن على كل راغب في ثواب الله وطامع فيما عنده من الخير أن يتوفر على الصبر ويزم نفسه بزمامه ويقيدها بقيده. فإن الجزع لا يرد قضاء قد نزل ولا يجلب خيراً قد سلب، ولا يرفع مكروها قد وقع. وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره وتعقله حق تعقله علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر بهذا الجزاء الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى ومع ذلك فاته حق الأجر ما لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه، فضم إلى مصيبته مصيبة أخرى ولم يظفر بغير الجزع»[3]

---

(١) حياة الصحابة ٢/٥٩١.

(٢) سورة الزمر، آية ١٠.

(٣) فتح القدير ٤/٤٥٤.

فهذه الدعوة الخيرة للصبر والنهي عن الجزع جديرة بأن تسمى المسلمة لها فضلاً عما في التعزية من المواساة، ومشاركة المسلمة لأختها المسلمة في مصابها، الأمر الذي يخفف وقع المصيبة عليها ويساعد على جبر كسرها وتطييب نفسها.

٢ - زيارة الأخوات في الله:

وهي صلة فيها خير عميم للمجتمع الإسلامي بأسره. بها يتناصحون ويتشاورون فتصبح الجماعة المسلمة بنية قوية صامدة قادرة على أداء رسالتها.

فلنحرص أولاً على اختيار الصديقات لقوله تعالى:

﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[١].

واستجابة لأمره عليه الصلاة والسلام:

«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[٢].

فالصحبة الصالحة تورث السلوك الحسن والسيرة الطيبة، وشتان بين صاحبة تعين على الخير وتدل على الفضيلة. إن نسيت ذكرتك، وإن قصرت أرشدتك، وإن أسأت سترتك. وبين أخرى صحبتها تورث الندم، تدعوها إلى المنكر وتزينه لها لتقودها إلى السعير.

«إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد

(١) سورة الزخرف، آية ٦٧.

(٢) رواه الترمذي في الزهد.

منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة »[1].

ثم إن الطبيعي أن لا تألف المسلمة الملتزمة بدينها إلا من كانت صفاتها موافقة لها « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »[2].

فلتهنك الصحبة الطيبة، والصلة الخيرة التي سببها الحب في الله تجدين بها حلاوة الإيمان: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره ان يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار »[3].

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله. قالوا: يا رسول الله فخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها. فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[4].. رواه أبو داود.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في البر والصلة.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٨٥.
(٣) مسلم بشرح النووي ١/١٦٦.
(٤) ينظر الترغيب والترهيب ٤/٢١.

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟. قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت.

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت»، قال أنس: «فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن أكون معهم بحبي اياهم»[1].

فالمودة إنما تكون للمؤمنات الصالحات الواقفات عند حدود الله لا يتعدينها «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله»[2].

وبحسب من يحب لله ويكره لله أن يجني الثمرات التالية - استناداً إلى أحاديث الرسول ﷺ -:

أ - أن يتذوق حلاوة الإيمان.
ب - يحيطه الله برحمته ويقيه عاديات شدائد يوم القيامة.
جـ - يجلب له الأمن ويعد من السبعة الذين يظلهم الله برضوانه.
د - زيادة درجات الجنة بجوار منازل الأبرار.
هـ - سلوك حسن وصحبة نافعة.....[3].

وحيث أن الزيارة مظهر من مظاهر المودة فتقتصر على المسلمات الصالحات إلا إذا كان هناك مصلحة شرعية اقتضت غير ذلك.

---

(١) حياة الصحابة ٣١٨/٢.
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٠٦/٤.
(٣) الترغيب والترهيب - التعليق عليه - ج ٤/ص ٣٠.

ولا يسعنا أن نقول لمن زارت أختا لها في الله إلا كما تقول لها الملائكة: «طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً» رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أن رجلا زار أخا له في قرية فأرصد فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحبته في الله. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» رواه مسلم..[2] والمدرجة: الطريق ومعنى تربها: تقوم بها وتسعى في صلاحها.

فالإسلام الذي ينبذ العزلة ويدفع الإنسان لينسلخ من وحدته للقيام بمصالح المسلمين. يجعل الاختلاط بالصالحين ومصاحبتهم من القربات التي يثاب المرء عليها، كما يجعل مصاحبة الأشرار من الأوزار التي يؤاخذ بها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3].

(هذا النهي عن موالاة المتخذين للدين هزواً ولعباً يعم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين للإسلام)[4].

وبذلك يتميز المؤمن عن غيره، وتقوى روابط المؤمنين، ويشعر المشركون ومن حاد الله ورسوله بشوكة المؤمنين وقوتهم.

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/٣٦٤.
(٢) شرح صحيح مسلم ١٦/١٢٤.
(٣) سورة المائدة، الآية ٥٧.
(٤) فتح القدير ٢/٥٤.

٣ - زيارة الجارات:

إن الإسلام الذي يحرص على إشاعة المودة في بنائه الشامخ، لينظم لبنات هذا البناء على أسس تكفل دوام السعادة والتعاون بين أبنائه.

عن عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[١].

وامتثال الوصية إنما يكون بإيصال ضروب الإحسان إليه حسب الطاقة،وقد وجه الرسول ﷺ النساء المسلمات بصفة خاصة إلى نوع من الإحسان للجيران وهو الهدية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**» رواه البخاري..

وذلك لما في المهاداة من تمتين لعرى المحبة، ودوام المودة وإذهاب الضغائن.

وللترمذي وحسنه عن ابن عمر مرفوعاً: «**وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**».

وهذه الخيرية لا تكون في السلبية والانطواء على الذات فلا بد من تفقد أحوال الجيران ومعاونتهم إذا احتاجوا لمعاونة، عيادة مريضهم تعزيتهم في مصابهم، مشاركتهم في أفراحهم.

أما ما نجده اليوم من آثار ما يسمى بالحضارة الغربية والتي غزتنا في عقر دارنا فاكتفى كل مسلم بما هو داخل جدران منزله فلا يهتم بما وراءها ولا يبالي بأحوال غيره ومصائبه أيا كانت، فأهل الحي الواحد

---

(١) صحيح مسلم. بشرح النووي ١٦/١٢٤.

قد لا يعرف بعضهم بعضا، وأهل العمارة الواحدة قد لا يتزاورون حتى في المناسبات الواجبة.

والجارة قد تمرض جارتها، وتحصل لها من النكبات ما يوجب على جارتها المسلمة أن تواسيها فيها، وليس من تسمع أو تعلم.

فكما أنه ليس من اللائق الإكثار من الزيارات للجيران لغير سبب لما في ذلك من إزعاج لهم ويشعرهم بعدم الراحة والاستجمام في بيوتهم، ولما يؤدي الانفتاح الإجتماعي الزائد إلى التدخل فيما لا يعني والمكروه شرعاً.. كذلك لا تجوز السلبية وعدم أداء حق الجار كما علمناالشرع، وقد وضح رسول الله ﷺ حق الجار:

«أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فاهد له فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»[١].

رواه الخرائطي من مكارم الأخلاق

فهذا قمة السمو الإنساني ومثال الأدب الرفيع والذوق الرقيق، يتمثل في الحرص على التعامل الطيب مع الجار ومشاركته في السراء والضراء، ومراعاة مشاعره حتى في كيفية إرسال الهدية له. كل ذلك حرصاً على ائتلاف القلوب ودوام المودة. ليكون المجتمع المسلم كما أراده

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/٣٥٧.

الله تعالى كالبنيان يشد بعضه بعضا. والمهاداة من المرأة تكون بإذن الزوج إلا في الأمور البسيطة سريعة التلف، أو إذا أذن للمرأة بإذن عام أن تتصرف ما تجده مناسباً. وذلك لأحاديث رسول الله ﷺ:

«**لا تنفق امرأة شيئاً من بيت زوجها إلا بإذنه**» ثم إن امرأة أتت للرسول ﷺ فقالت: يا رسول الله: إنا كلٌّ على آبائنا وأزواجنا وأبنائنا فما يحل لنا من أموالهم؟ فقال: «**الرطب تأكلينه وتهدينه**»[1].

وجاء في الحديث: قول رسول الله ﷺ: «**إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً**»[2].

وهكذا فصلة المرأة لجيرانها: بالهدية لهم، مزاورتهم، معاونتهم، كف الأذى عنهم أياً كان باليد أم باللسان:

قيل للرسول ﷺ: إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «**هي في النار**»[3].

رواه أحمد والبزار

فلنحرص على أعمالنا الصالحة أن تذهبها زلات اللسان وتودي بها عثرات لا ننهض بعدها ولنسع جاهدات إلى إعطاء كل ذي حق حقه، فالجار ذي القربى له حق الجوار وحق الصلة، ومن ثم الجار الجنب. والجارة الصالحة لها حق الحب في الله فضلا عن الجوار. والجارة القريبة حقها آكد من البعيدة وهكذا..

رزقنا الله جميعاً الجارة الصالحة وأعاننا على إرضائه بأداء حقها.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٥٥٧/٦.
(٢) صحيح مسلم ١١١/٧.
(٣) الترغيب والترهيب ٣٥٦/٣.

ثالثًا: الزّيارَاتُ الجَائِزَة

هنالك زيارات/مباحة/ كالتهنئة في العيد وزيارة أهل الكتاب إن كانت هنالك مصلحة شرعية.

١ - في العيد:

ذلك أن التهنئة في العيد جائزة.

قال أحمد: «أنا لا أبتدىء أحداً فإن ابتدأني أحد أجبته وذلك لأن جواب التحية واجب وأما الإبتداء بالتهنئة فليس سنة مأموراً بها ولا هو أيضا مما نهى عنه. فمن فعله فله قدوة ومن تركه فله قدوة والله أعلم»[١].

فما دامت الزيارة في العيد مباحة، وحيث أن فيها تقوية للروابط بين المسلمين، فهي فرصة لوصل ما انقطع بينهم لا سيما وقد أصبح من العرف السائد صلة الرحم والجيران والإخوان في العيد.

٢ - زيارة أهل الكتاب:

عيادتهم وإجابة دعوتهم وحرمة شهود أعيادهم سئل ابن تيمية رحمه الله عن قوم مسلمين مجاورين للنصارى، هل يجوز للمسلم إذا مرض

---

(١) الفتاوى ٢٤/٢٥٣.

النصراني أن يعوده، وإذا مات أن يتبع جنازته وهل على من فعل ذلك من المسلمين وزر أم لا؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين: «لا يتبع جنازته وأما عيادته فلا بأس به فإنه قد يكون في ذلك مصلحة لتأليفه على الإسلام»[1].

ويتوقف أحمد رحمه الله عن تعزية أهل الذمة وهي تخرج على عيادتهم وفيها روايتان: إحداهما لا نعودهم فكذلك لا نعزيهم لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تبدأوهم بالسلام» وهذا في معناه.

والثانية: نعودهم لأن النبي ﷺ أتى غلاماً من اليهود كان مرض يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه فقال: أطع أبا القاسم. فأسلم. فقام النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار» رواه البخاري.

«وإن دعاه ذمي لا تجب إجابته لأن الإجابة للمسلم للإكرام والموالاة وتأكيد المودة والإخاء. ولا تجب على المسلم للذمي ولأنه لا يأمن اختلاط طعامهم بالحرام والنجاسة ولكن تجوز إجابتهم، لما روى أنس أن يهودياً دعى النبي ﷺ إلى خبز شعير وإهالة سنخة فأجابه» وذكره الإمام أحمد في الزهد[2].

وكذا جاء في المبدع: «لا تجب دعوى الذمي لأنها تراد للأكرام والموالاة وذلك منتفٍ في حقه. وعنه في جواز تهنئتهم وتعزيتهم وعيادتهم روايتان»[3].

---

(١) الفتاوى ٢٤/٢٦٥.
(٢) المغني ٧/٣.
(٣) المبدع في شرح المقنع ٧/١٨٠.

وقال عمر: «اجتنبوا أعداء الله في عيدهم». ونص الإمام أحمد على أنه لا يجوز شهود أعياد اليهود والنصارى واحتج بقول الله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾. قال: الشعانين وأعيادهم.

وقال عبد الملك بن حبيب - من أصحاب مالك - في كلام له: «فلا يعاونون على شيء من عيدهم، لأن ذلك من تعظيم شوكتهم وعونهم على كفرهم وينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك، وهو قول مالك وغيره لم أعلم أنه اختلف فيه»[١].

ومن هذا نعلم أنه لا بأس بعيادتهم وإجابة دعوتهم ويحرم شهود أعيادهم.

أما المرأة المسلمة فإضافة إلى ما سبق لا يجوز أن تزور الكتابية إلا بعد أن تأخذ ما يلي بعين الإعتبار: -

١ - إذا عُلِم قطعاً - لا ظنا - أنه لن يكون اختلاط عندها وذلك يعرف بقرائن الحال ككتابية تعيش في بيتها وحيدة ولا يدخله رجال في العادة.

٢ - أن تكون من أهل الذمة والعهد لا المحاربات ففي الود لأمثال هؤلاء تأليف لقلوبهن وامتثال لقوله تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[٢].

---

(١) الفتاوى ٣٢٦/٢٥.

(٢) سورة الممتحنة، آية ٨.

٣ - أن لا تتكشف أمامها فلا تبدي ذراعها أو شعرها إذ لا يؤمن أن تصف ذلك لغيرها وذلك لقوله تعالى:

﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولهن... - الآية إلى قوله تعالى - أو نسائهن..﴾ (روي أنه أراد نساء المؤمنات)[١].

٤ - ألا تكون لموالاتها ومشاهدة منكراتها والتعاون معها على محرم وهذا من عزة الإسلام، إذ يحتاط لأتباعه، ويجعل لهم الهيمنة مع الإحسان إلى أهل الذمة.

أما ما نراه اليوم من تسلط الذميين على المسلمين، وقوة شوكة اليهود والصليبيين فلا يصح مهادنتهم وموالاتهم. خلافا لواقع كثيرين من المسلمين الذين يفتخرون بحسن الصلة معهم، ويتطاولون بتقليدهم، ظنا أن ذلك من دواعي الحضارة الحديثة والتمدن الزائغ.

---

(١) أحكام القرآن ٣١٨/٣ للجصاص.

رابعًا: الزيارات المحرمة

وكأني بك أختي المسلمة تتساءلين. وهل هذا يعني مقاطعة بعض المسلمين وهجرهم؟

لذا أرى لزاما علي اتماما للفائدة ذكر موقف الإسلام من الهجر والمقاطعة.

إن الهجر الشرعي يعتبر من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله فتكون خالصة لله وصواباً. فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا وما أكثر ما تفعله النفوس مما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله.

والهجر لأجل حظ الإنسان لا يجوز أكثر من ثلاث كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ بأنه قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» فلم يرخص في هذا الهجر أكثر من ثلاث..[١].

فالأصل أن المجتمع الإسلامي مجتمع متراص متواد متراحم تربط بين أبنائه وشائج الحب في الله، ولذا نفر الإسلام من قطع هذه الوشائج. فقد جاء في صحيح مسلم: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٨/٢٠٧.

فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا. انظروا هذين حتى يصطلحا - ثلاثا -»(١).

أما إذا رضيت إحدى منسوبات هذا المجتمع لنفسها غير ما رضي الله لها، فحادت عن جادة الصواب في التصور والسلوك، واتبعت غير سبيل المؤمنات فهل نبقى على مواصلتها والقرب منها أم نبعد عنها كما يبعد السليم عن المجذوم ويفر منه فراره من الأسد؟ ولا سيما وأن العقيدة المريضة أعدى وأخطر من الجذام وسائر الأسقام.

(والشحناء التي كرهها الإسلام وكره ما يدفع إليها أو ينشأ عنها هي التي تنشب من أجل الدنيا وأهوائها.

أما البغض لله والغضب للحق فشأن آخر، وليس على المسلم جناح في أن يقاطع حتى الموت من يفسقون عن أمر الله أو يعتدون على حدوده، بل إن ذلك من أمارات الإيمان الصحيح والإخلاص لله وحده.

وقد أمر الله عز وجل أن نجافي أعداءه، ولو كانوا أقرب الناس إلينا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٢).

وابتعاد المسلم عمن تسوء صحبتهم، أو ممن يغرون بالتهاون والهزل واجب. وابتعاده فيمن أخطأ في حق الله عقابا له إلى أجل محدود أو ممدود لا شيء فيه)(٣).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٢٢.
(٢) سورة التوبة، آية ٢٣.
(٣) خلق المسلم ١٦٤.

فالمسلمة تحب في الله فتوالي أهل طاعته. وتبغض في الله وتعادي أهل معصيته، وهي مأمورة بذلك مأجورة عليه.

أما إن اجتمع في الواحدة خير وشر، وسنة وبدعة... فما الحكم؟ هل تهجر أم توصل؟»

هذا ما يجيب عليه ابن تيمية رحمه الله: «وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته.

وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفتهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه»[1].

أما المقاطعة لأي هفوة شرعية، فهذا لا يقول به أحد. وأينا تسلم من اللمم التي يغفرها الله بإذنه.

- وأيها أفضل الهجر أم التأليف؟

«هذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله. فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً. وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحة: لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٨/٢٠٩.

قوماً ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم. وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم»(١).

والآن وقد عرفنا حكم الهجر والمقاطعة، فلنتعرف على أنواع الزيارات المحرمة وهي كالتالي:

١ - زيارة داعيات البدع.

٢ - زيارة داعيات الانحلال، والأفكار المعادية للإسلام.

٣ - زيارة مَنْ عندهنّ منكرات لا نستطيع تغييرها.

١ - زيارة داعيات البدع

فما هي البدعة: هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه..(٢).

وظهور البدع أمر شاذ غريب، وأهم الأسباب التي أدت إليه خمسة:

أولا: الغلو، ويمثله الخوارج والشيعة.

فالخوارج: غلوا في فهم آيات الوعيد، وأعرضوا عن آيات الرجاء والوعد بالمغفرة والتوبة.

والشيعة: غلوا في رفع الأئمة إلى درجة النبوة، بل وإلى مقام الألوهية.

ثانياً: الرد على البدعة ببدعة مثلها أو أشد منها.

ويمثل ذلك المرجئة والمعتزلة والمشبهة والجهمية.

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٨/٢٠٦.

(٢) الاعتصام ١/٣٧.

فالمرجئة بدأت في مواجهة الخوارج الذين كفروا علياً رضي الله عنه والحكمين معه، فقالت المرجئة: لانحكم فيهم ونرجيء أمرهم إلى الله..

وانتهى بهم القول بأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما أنه لا تنفع مع الكفر طاعة. يقول شارح الطحاوية: «وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين»

والمشبهة: كانت رد فعل للمعطلة الجهمية التي تنفي الصفات عن الله تعالى فبالغت المشبهة بإثبات الصفات حتى انتهى بها ذلك إلى تشبيه الله عز وجل بخلقه.

والجهمية: ردت على بدعة القدرية. حيث تزعم القدرية أن العبد هو الخالق لفعل نفسه وليس الله عز وجل. فجاء الجهم وعكس القضية وقال: إن الله هو الخالق الموجد والعبد مجبور على فعله، ولا قدرة له عليه ولا اختيار، بل هو كالسعفة في مهب الريح، فرد على البدعة ببدعة أخرى.

ثالثا: المؤثرات الأجنبية. وتظهر واضحة في الشيعة.

إذ كان عبد الله بن سبأ اليهودي أصل وجود الغلو في علي رضي الله عنه.

وفي القدرية: أول من نطق بمقالتهم رجل نصراني يسمى (سنسويه) ثم تلقاها عنه معبد الجهني.

رابعاً: تحكيم العقل في القضايا الشرعية. فردوا كثيراً من الاحاديث الثابتة لعدم موافقتها لأهوائهم.

خامساً: تعريب كتب الفلسفة. وتم ذلك في عهد المأمون، فاطلع عليها

طائفة من المسلمين، واتخذوا منها ميزانا للحقائق الشرعية. فما بلغهم من نصوص الكتاب والسنة أولوه ليوائق تلك المقررات الفلسفية. مما نتج عنه بلاء كبير وانحراف خطير»[١].

«ولقد كان الشافعي ينهي النهي الشديد عن الكلام في الأهواء ويقول: أحدهم إذا خالفه صاحبه قال: كفرت. والعلم فيه إنما يقال: أخطأت»[٢].

«وقد رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع الداعين إليها والمظهرين للكبائر. فأما من كان مستتراً بمعصية أو مسراً لبدعة غير مكفرة فإن هذا لايهجر، وإنما يهجر الداعي إلى البدعة.

إذ الهجر نوع من العقوبة، وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولاً أو عملاً، وأما من أظهر لنا خيراً فإنا نقبل علانيته ونكل سريرته إلى الله تعالى»[٣] وقد تكون مفسدة اتباع أهواء المبتدعة أشد على هذه الملة من مفسدة اتباع أهل الملل. فإن المبتدعة ينتمون إلى الإسلام ويظهرون للناس أنهم ينصرون الدين ويتبعون أحسنه، وهم على العكس من ذلك والضد لما هنالك. فلا يزالون ينقلون من يميل إلى أهويتهم من بدعة إلى بدعة، ويدفعونه من شنعة إلى شنعة حتى يسلخوه من الدين، ويخرجوه منه وهو يظن أنه منه في الصميم، وأن الصراط الذي هو عليه هو الصراط المستقيم. هذا إن كان في عداد المقصرين ومن جملة الجاهلين.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٧/١ - ٤٤. (بإيجاز).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٤٦/١.
(٣) فتاوى ابن تيمية ١٧٥/٢٤.

وإن كان من أهل العلم والفهم المميز بين الحق والباطل: كان في اتباعه لأهويتهم ممن أضله الله على علم وختم على قلبه، وصار نقمة على عباد الله ومصيبة صبها الله على المقصرين، لأنهم يعتقدون أنه في علمه وفهمه لا يميل إلا إلى حق ولا يتبع إلا الصواب. فيضلون بضلاله فيكون عليه إثمه وإثم من يقتدي به إلى يوم القيامة. ونسأل الله اللطف والسلامة والهداية..[1].

وغالبية دعاة البدع لا يرضيهم إلا اتباع بدعتهم، والدخول في مداخلهم وآرائهم المنهارة، فلا يغرنا إن أظهروا من أخلاقهم لينا أو قبولاً. فهذا من أحابيلهم لينفق باطلهم. لذا حذر الإسلام من مواصلتهم ومجالستهم.

«عن الحسن: لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك».

وعن أبي قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون. وعن إبراهيم: لا تكلموهم فإني أخاف أن ترتد قلوبكم»[2].

وعلى مقت البدع وعدم مجالسة أهلها ربى الصحابة والسلف الصالح أبناءهم: أخرج أبو نعيم في الحلية (١٦٧/٣):

«عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: جئت أبي فقال: أين كنت؟ فقلت: وجدت قوماً ما رأيت خيراً منهم، يذكرون الله تعالى فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله تعالى فقعدت معهم.

قال: لا تقعد معهم بعدها.

---

(١) فتح القدير ١٥٤/١.
(٢) الاعتصام ٨٣/١ - ٨٤.

فرأى كأنه لم يأخذ ذلك في. فقال: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يتلوان القرآن فلا يصيبهم هذا. أفتراهم أخشع لله تعالى من أبي بكر وعمر؟!. فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم »[١].

فردع ابن الزبير ابنه عن مجالسة المبتدعة من المتصوفة والمتخشعة حرصاً على وقايته من نار وقودها الناس والحجارة.

« وروي مرفوعاً: من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعانه على هدم الإسلام ».

وعن هشام بن عروة قال: قال رسول الله ﷺ: **« من أحدث حدثاً أو آوىٰ محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »** فإن الإيواء يجامع التوقير، ووجه ذلك ظاهر لأن المشي إليه والتوقير له تعظيم له لأجل بدعته. وقد علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من هذا كالضرب والقتل فصار توقيره صدوداً عن الإسلام وإقبالاً على ما يضاده وينافيه. والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل به، والعمل بما ينافيه.

وأيضاً فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم، إحداهما: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

والثانية: أنه إذا وقر من أجل بدعته صار من ذلك كالحادي المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء وعلى كل حال. فتحيا البدع

---

(١) حياة الصحابة ٣/٢٤٨.

وتموت السنة، وهو هدم الإسلام بعينه..[1].

فمقاطعة أهل البدع والانحرافات العقيدية والفكرية واجبة لأنها تبيّن ولاء المسلم للمسلم وولاءه إلى دينه، وبراءته من أهل الضلال وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

«وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة.

فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه، فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم،وذلك يسير عليه وغير عسير. فقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه مما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر.. ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم كتاب والسنة، فإنه بما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من الباطل بأوضح مكان فينقدح في قلبه ما

(١) الاعتصام ١/١١٤.

(٢) سورة المائدة، آية ٦٨.

يصعب علاجه ويعسر دفعه فيعمل بذلك مدة عمره..[1].

ولقد كان من دعاء ابن المبارك: «اللهم لا تجعل لصاحب بدعة عندي يداً فيحبه قلبي»[2].

وكان الفضيل بن عياض يقول محذراً من مجالسة أهل البدع: «إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك. لا يكون مع صاحب بدعة، فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة»[3].

وقد لخص سفيان الثوري مخاطر مجالسة المبتدعة بقوله:

«من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع بقلبه شيء يزل به فيدخل النار، وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموا به وإني واثق بنفسي، فمن يأمن بغير الله طرفة عين على دينه سلبه إياه»[4].

وما الذي يدفع لمجالسة داعيات البدعة؟! إن كان ذلك لما يرجى عندهن من الجاه والحطام العاجل.. فالآخرة خير وأبقى «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً».

وإن كان ذلك ثقة بأنفسنا فلنذكر أن من يأمن بغير الله طرفة عين على دينه سلبه إياه.

---

(١) فتح القدير ١٢٨/٢.
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٤٠/١.
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٣٨/١.
(٤) الاعتصام ١٣٠/١.

ولنتق الله في أنفسنا، فلا نوقعها في الهاوية بمداهنة داعيات الهوى والبدع، فأول العلاقة بهن رقة معهن وملاطفة لهن، وآخرها - والعياذ بالله - تقليد لبدعتهن وانسلاخ عن السنة وأصلها. ولنفرق بين الداعية إلى البدعة وغيرها:

يقول ابن تيمية: «إن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم ولا يصلى خلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون. فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا.

ولهذا يفرق بين الداعية وغير الداعية. لأن الداعية أظهر المنكرات فاستحق العقوبة بخلاف الكاتم فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله، مع علمه بحال كثير منهم، ولهذا جاء في الحديث: إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها. ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة، لأن النبي ﷺ قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[(١)].

غير أن الأمر قد يعكسه بعض أهل الهوى، فيقاطعون المسلمين ولو كانوا أتقياء ملتزمين بحدود الشرع، لأنهم لا يقولون برأيهم، ولا يعتقدون معتقدهم اتباعاً لعصبية أو انقياداً لطريقة ومذهب. ولعل ذلك من رواسب فكر الخوارج الذين كانوا يحفظون ذمة نبيهم مع الذميين، ثم لا يتورعون عن قتل أصحابه صلى الله عليه وسلم.

فكما أنه لا يجوز مداهنة أهل الهوى وموادتهم ومجالستهم، كذلك لا يجوز بغض أهل السنة ومقاطعتهم تبعاً لرأي أحد مهما كان له من السلطان «فإذا كان المعلم أو الأستاذ قد أمر بهجر شخص أو بإهداره وإسقاطه

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٨/٢٠٥.

وإبعاده ونحو ذلك نظر فيه، فإن كان قد فعل ذنبا شرعياً، عوقب بقدر ذنبه بلا زيادة. وإن لم يكن أذنب ذنبا شرعيا لم يجز أن يعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره. وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى. كما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾(١).

وكلمة أخيرة أود أن أؤكد عليها: أنه لا يجوز اتهام المسلمة حسب الظن بالبدع. فلا يذهب بنا الهوى إلى المقاطعة دون دليل شرعي أكيد على بدعتها لئلا نأثم بهذه المقاطعة. وعند الشك نغلب حسن الظن مع أخواتنا المسلمات.

أما إذا تأكد لدينا أن فلانة داعية لبدعة ما، تذكرها وتنشرها فهنا فقط يجب الهجر وعدم توقيرها ومجالستها وزيارتها..

وإن أسرت ببدعتها فلنا الظاهر؛ وهي ليست شراً من المنافقين يعاملون حسب علانيتهم، أما سريرتهم فموكولة إلى رب العالمين يحاسبهم بها.

«يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم. فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته.

---

(١) فتاوى ابن تيمية ١٥/٢٨.

ومن أظهر لنا شراً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال: إن سريرته حسنة »[1].

٢ - زيارة داعيات الانحلال والأفكار المعادية للإسلام:

لقد ظهرت بين بعض منسوبات الإسلام، ممن آمن لسانهن ببعض الكتاب ولم تؤمن قلوبهن، فئة صعب عليها الارتقاء إلى القمة السامقة، فانزلقت إلى الهاوية، فتفلتت من التكاليف الشرعية، إلى عبودية الهوى والشهوات وراق لها ذلك فتلطخت في أوحال الجاهلية وأسمتها تقدمية. وتدنست بأرجاس الأغلال وأسمتها تحررية.

فمنهن من تدعو إلى الانحلال والثورة على المقدسات والتراث، ومنهن من تهزأ بتعاليم الشريعة ومبادئها.

فماذا بقي لهن من الإسلام بعد ذلك؟ وهل يجوز للمسلمة التي أعزها الله بالإسلام وأكرمها بالتقوى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ هل يجوز لها أن تسعى إلى وصل أمثال هؤلاء. أم تهين من أهانها الله؟! ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[2].

إن التسامح الذي أقره الإسلام لغير المسلمين ومن غير المشاركة في باطلهم أو التنازل عما نؤمن به. إنما القصد منه تأليفهم ورعاية لحق العهد. أما أولئك المستهترات بأحكام الشرع، الداعيات إلى الردة في بلاد الإسلام: فنعرض عنهن ونقاطعهن ونضرب بيد من حديد على باطلهن نرد الحجة بالحجة، نهدم كل دعوة لهن تدعو إلى التفسخ

---

(١) حياة الصحابة ٨٥/٢.

(٢) سورة الحج، آية ١٨.

والتهتك والمجون. أما معاشرتهن والاستئناس بهن لغرض دنيوي وهوى نفساني طلبا للراحة، فهو دليل على نقص الإيمان. فالواجب أن تنزل الواحدة منزلتها فلا تعامل المؤمنة كالكافرة، والمتقية كالفاجرة. وليس لأمثال هؤلاء أي حق من أخوة أو إسلام فنبغضهن في الله حتى يَتُبْن.. والله نسأل أن يلهمهن رشدهن ويرزقهن التوبة، ويعدن مؤمنات سلما للإسلام وأهله حربا على أعدائه.

٣ - زيارة من عندهن منكرات لا نستطيع تغييرها:

ذلك أن المعاصي سبب زوال النعم، والطاعات سبب دوامها.

ومجالسة أمثال هؤلاء كانت سبباً في هلاك بني إسرائيل.

فقد روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم بلسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**»[١].

وقد بين الرسول ﷺ خطورة إهمال فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي تشمل المجتمع بأسره. ذلك أن سلبية القادرين على التغيير تدفع بالمنكرات قدماً، فيشق إصلاح ما فسد وكان من اليسير تلافيه في بادىء الأمر.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها. فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من**

---

(١) الترغيب والترهيب ص ٣/٢٢٩.

الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[1].

فلنتدارك أنفسنا ومجتمعنا قبل فوات الأوان حتى لا ينفع الندم، ولنتناصح ولندع بعضا الى الخير، فتلك الطريق التي ارتضاها الله تعالى لنا ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[3].

فسبب خيرية هذه الأمة التزامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،والواجب الحزم مع العصاة وعدم التربيت على عواطفهم ورغباتهم، وعدم التهاون بشأن المعاصي. وإلا فالمصائب تعم الأمة كلها ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾[4]

فندفع الشر ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ،ونتصدى للمخالفات الشرعية نمنعها جهدنا.

---

(١) أخرجه احمد والترمذي في الفتن.
(٢) سورة آل عمران آية ١٠٤.
(٣) سورة آل عمران، آية ١١٠.
(٤) سورة الشورى، آية ٣٠.

«ولا يجوز لأحد أن يحضر مجلس المنكر باختياره لغير ضرورة كما في الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر**» ورفع لعمر بن عبد العزيز قوماً يشربون الخمر فأمر بجلدهم. فقيل له: إن فيهم صائماً. فقال: ابدأ به. أما سمعتم الله يقول: ﴿**وقد نزل عليكم في الكتاب أنه إذا سمعتم آيات الله يُكفَر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم**﴾.

بين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن الله جعل حاضر المنكر كفاعله ولهذا قال العلماء: إذا دعي إلى وليمة فيها منكر كالخمر والزمر لم يجز حضورها. وذلك أن الله تعالى قد أمرنا بإنكار المنكر بحسب الإمكان. فمن حضر باختياره ولم ينكر فقد عصى الله ورسوله بترك ما أمره به من بغضه وإنكاره والنهي عنه»[1] فمن دعي إلى وليمة يعلم أن فيها منكراً «إذا أمكن الإنكار وإزالة المنكر لزمه الحضور والإنكار لأنه يؤدي فرضية إجابة الدعوة وإزالة المنكر، وإن لم يقدر على الإنكار لم يحضر. وإن لم يعلم بالمنكر حتى حضر أزاله فإن لم يقدر انصرف. ونحو هذا قال الشافعي..»[2].

وهذه وصية عمير بن حبيب رضي الله عنه - وكان قد أدرك النبي ﷺ عند احتلامه - أوصى ولده فقال:«يا بني إياك ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء. ومن يحلم عن السفيه يسر، ومن يجبه يندم ومن يرض بالقليل مما يأتي به السفيه يرض بالكثير. وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٢٢/٢٨.

(٢) المغني ٥/٧.

الأذى،ويثق بالثواب من الله تعالى فإنه من وثق بالثواب من الله عز وجل لم يضره مس الأذى» .. ورجاله ثقات كما قال الهيثمي..[1].

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن في العزلة لراحة من خلاط السوء»[2] فإن علمنا أننا عاجزات عن تغيير المنكرفلنعتزل مَنْ تعمله.نفعله وهذا أقل ما يمكن أن يعمل.أما أن تقول الواحدة ما لنا وللناس. وتحتج كشأن بعض الجاهلات بقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم. إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فقد قال أبو أمية الشعثاني: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾.

قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً. سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك. ودع عنك أمر العوام فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر. للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم».. وتأويلها في آخر الزمان...[3].

فيؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ما دام في النفوس بقية من خير فتحتمل النصح رغبة في الدار الآخرة.

أما إذا فسد الناس وآثروا الحياة الدنيا، واعتز كل برأيه، فلا بقية من تقوى تردع صاحب المنكر فضلا عن نفس شحيحة على الخير،

---

(١) حياة الصحابة ٢/٦٤٧.

(٢) كنز العمال ٢/١٥٩.

(٣) فتح القدير ٢/٨٤.

وحرص على الفانية: فلا أمل بعدها بقبول أي نصح عندها فقط - ويكون ذلك آخر الزمان - يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويبتعد الإنسان بنفسه عن الفتن.

كما وإن تغيير المنكر يجب أن يتم بطريقة شرعية غير منكرة أيضاً. ولهذا قيل: «ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر».

فلا بد أن تكون المصلحة راجحة على المفسدة، ولا بد من العلم والرفق والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده. وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال. وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورده مرفوعاً ذكره أبو يعلى في المعتمد: «**لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كان فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه**»[1].

فلا بد من النصح والإقناع والتلطف مع الناس أثناء أمرهم بالمعروف. نعاملهم بالحسنى كما نحب أن نعامل. نذكر قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[2].

«وحب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته ينبغي أن تكون كاملة جازمة لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان. أما فعل البدن فبحسب قدرته ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة، وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل»[3].

---

(١) فتاوى ابن تيمية ١٣٧/٢٨.
(٢) سورة آل عمران، آية ١٥٩.
(٣) الفتاوى ١٣١/٢٨.

فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه ومقدار حبه وبغضه. هل هو موافق لأمر الله ورسوله وهو هدي الله الذي أنزله على رسوله بحيث يكون مأموراً بذلك الحب والبغض ولا يكون متقدماً فيه بين يدي الله ورسوله فإنه قد قال: «لا تقدموا بين يدي الله ورسوله».

ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله. ومجرد الحب والبغض هوى، لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله. ولهذا قال: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد﴾[1].

ومن أحبت المنكرات ولم تنكرها بقلبها، فلتعد النظر في إيمانها لقول الرسول ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويعتقدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2].

فانتفى الإيمان لعدم دفع المنكر باليد أو اللسان أو الكره القلبي.

فكيف بمن تعجب بالمغنيات والممثلات وداعيات التقدمية من السافرات المتبرجات، فهي وإن لم تقلدهن.. إلا أن حبها لباطلهن يخرجها من الإيمان، فحذار من الهوى والانسياق وراء الدعايات المغرضة

---

(١) الفتاوى ١٣٤/٢٨.

(٢) رواه مسلم - شرح صحيح مسلم جـ ٢٧/٢.

التي يشنها أعداء الإسلام للتدليل على فسادهم وترويج كسادهم ولا ننسى قوله تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1].

فمقتضى هذه الموالاة بين المسلمات، أن تتعهد المسلمة نفسها ومن يحيط بها التزام السنة وتطبيق الشرع فبحسبها أن لها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً.

تبتعد عن الزيغ والضلال، وتتوكل على الله وتستعين به ليثبت قلبها على الهدى، ويمنعها من اتباع الهوى، ويعينها على اتباع أمثل الطرق للدعوة إلى الخير بالحكمة الحسنة.

فحيث كانت الحكمة في الهجر والإعراض لما في ذلك من زجر لأهل المنكرات قاطعت ولم تهادن، وإن كانت الحكمة في اللطف والرفق والرحمة تواضعت مع الحرص على التوجيه المشروع.

أما إذا علمت أنه لن يسمع قولها، ولن يقبل نصحها فتهجر مكان المنكر ولا تهادن أصحابه ولا تداهنهم ولا تحضر.

---

(١) سورة التوبة، آية ٧١.

فزيارة من عندهن منكرات لا تستطيع تغييرها محرمة.

ومن زارتهن عالمة بهذا مسبقا فهي آثمة لرضاها بما حرم الله. ومن تستطيع التغيير، وزارتهن لهذا الهدف فهي مأجورة بإذن الله.

القسم الثاني

آداب الزّيارة

آداب الزيارة

بعد أن عرفنا أنواع الزيارات في القسم الأول، سنحاول الحديث في هذا القسم عن آداب الزيارة، ذلك أن الإسلام لم يترك الأمور عبثاً، وإنما حدد كل أعمال المسلم والمسلمة بأحكام شرعية، وآداب سامية لا بد من مراعاتها، وفي ذلك تحقيق بنيان المجتمع المسلم المتماسك المهذب.

فبعد أن نحدد هدف الزيارة ثم نعرف الحكم الشرعي لها حسب ذلك الهدف - وحتى تكون أعمالنا موافقة للشرع - لا بد أن نعرف ما يترتب علينا عمله من واجبات شرعية، ومستحبات، وما يحسن اجتنابه وذلك في الحالات التالية:

أولا: قبل الزيارة: استئذان الزوج.

ثانياً: في الطريق: كمراعاة اللباس الشرعي، ومرافقة المحرم أو عدمها.

ثالثاً: في المنزل المستقبل: ويشمل أحكاماً كثيرة مثل:

١ - الاستئذان.

٢ - المصافحة.

٣ - حسن الاستقبال والبشاشة.

٤ - الضيافة.

٥ - الأحاديث الهادفة وذلك:

أ - للدلالة على الخير. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب - تعليم المسلمة لأختها صنعة تجهلها أو معاونتها في شؤونها.

جـ - الإصلاح بين الأخوات.

٦ - الآداب «المجاملات الإسلامية».

٧ - البعد عن زلات اللسان.

٨ - كفارة المجلس.

٩ - لباس المسلمة وزينتها أمام النساء.

رابعاً: بعد الزيارة: الحرص على أمانة المجلس.

خامساً: الخاتمة.

اسْتِئْذَانُ الزَّوج في الخُرُوج

إن الإسلام يأمر بالنظام في كل الحالات، في العبادات والمعاملات، في السفر والحضر، فإذا خرج ثلاثة في سفر دعا الإسلام إلى تأمير أحدهم. لذا قد جعل قوامة الأسرة للرجل فهو أقدر على القيام بهذا الاختصاص من المرأة. إذ جعل مجالها الطبيعي يتناسب مع فطرتها النفسية، وتكوينها الجسمي. وهو امداد المجتمع المسلم بالأجيال المؤمنة المهيأة لحمل رسالة هذا الدين. ولا أحد ينكر فضل الاختصاص من حيث قلة الجهد، وجودة المردود سواء في النواحي المادية أو الإنسانية.

هذه الرئاسة والقوامة تقتضي وجوب طاعة المرأة لزوجها وقد جاء في الفتاوى لابن تيمية: «والمرأة إذا تزوجت كان زوجها أملك بها من أبويها وطاعة زوجها أوجب. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسك ومالك**».

وفي الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة» وقال الترمذي حديث حسن وقد ورد أيضا في المسند وسنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان عن ابن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوجدتهم يسجدون لأساقفتهم

وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تفعلوا ذلك فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه**».

وإذا أراد الرجل أن ينتقل بها إلى مكان آخر مع قيامه بما يجب عليه وحفظ حدود الله فيها، ونهاها أبواها عن طاعته في ذلك فعليها أن تطيع زوجها دون أبويها.

وإذا نهاها الزوج عما أمر الله أو أمرها بما نهى الله عنه لم يكن لها أن تطيعه في ذلك فإن النبي ﷺ قال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»(١).

هذا وطاعة الزوج ليست تسلطاً ولا امتهاناً للمرأة وانتقاصاً لشخصيتها، إنما هي من طاعة الله والقربات إليه التي تثاب عليها ويجب أن تعتز بها... وهذا ما يميز المسلمة الواقفة عند حدود الله عن العابثة المتسيبة، التي لا أب يردها ولا زوج يمنعها، تخرج من البيت متى تشاء وحيث تشاء، فتزرع هذا الشر لتحصد الندامة فيما بعد، بمشاكل لا تنتهي، واتهامات كثيرة، وواقع مرير، ونتائج وخيمة. ولا ينجي من ذلك إلا العودة إلى تحكيم شرع الله:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(٢).

وهذه الدرجة هي قوامة الأسرة.

---

(١) الفتاوى ٣٢/من ٢٦٠ - ٢٦٤ بإيجاز.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٨.

«ولا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها، ولا يحل لأحد أن يأخذها إليه أو يحبسها عن زوجها، سواء كان ذلك لكونها مرضعاً أو لكونها قابلة أو غير ذلك من الصناعات.

وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه كانت ناشزة عاصية لله ورسوله ومستحقة للعقوبة»[١].

لذا فخروجها للعمل بغير إذن زوجها نشوز لزوجها وعصيان لله ولرسوله فكيف إذا خرجت للتزاور أياً كان السبب؟!! ولو كان لزيارة والديها المريضين.

«للزوج منعها من الخروج من منزلها إلى ما لها منه بد سواء أرادت زيارة والديها أو عيادتهما أو حضور جنازة أحدهما. قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة: طاعة زوجها أوجب عليها من أمها إلا أن يأذن لها»[٢].

وحتى الخروج للعبادة تحتاج معه إلى إذنه:

«عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد للعبادة فأذنوا لهن**».

وعن ابن حبان من حديث زيد بن خالد: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله».

قال القسطلاني: أي إذا أمنت المفسدة منهن وعليهن - وذلك هو الأغلب في ذلك الزمان - بخلاف زماننا هذا الكثير الفساد والمفسدين

---

(١) الفتاوى ٢٨١/٣٢.
(٢) المغني ٢٠/٧.

وقد ورد في بعض طرق الحديث ما يدل على أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد وذلك في رواية حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر بلفظ «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن».

وحديث عائشة رضي الله عنها في منع النساء علقته على شرط لو رأى رسول الله ما أحدثته النساء.

وفي رواية عند البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «إذا استأذنت امرأة أحدكم - أي أن تخرج الى المسجد أو ما في معناه كشهود العيد وعيادة المريض - فلا يمنعها».

قال القسطلاني: «وليس في الحديث التقييد بالمسجد، إنما هو مطلق يشمل مواضع العبادة وغيرها.

ومقتضى الحديث: أن جواز خروج المرأة يحتاج إلى إذن الزوج»[1].

بين القرار في البيت والخروج منه:

أما قول القائل إنهن لا يخرجن من بيوتهن مطلقاً لقوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ فليس بحجة له بدليل قوله تعالى بعدها: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ والمقصود به عند خروجهن.

«ومعنى هذه الآية: الأمر بلزوم البيت وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى هذا لو لم يرد دليل يخصص جميع النساء، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة»[2].

---

(١) عون الباري الجلد الثاني /٢٨٥ - ٢٨٧ باختصار.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي /١٤/١٧٩.

«وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً، وإنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن وهو المقر وما عداه استثناء طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقررن وإنما هي الحاجة وتقضى وبقدرها»[١].

وقد عرف عن أمهات المؤمنين والصحابيات أنهن كن يخرجن في حوائجهن وللمشاركة في الغزو. «فكان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى»[٢].

وفيه خروج النساء في الغزو والانتفاع بهن في السقي والمداواة لمحارمهن وأزواجهن وغيرهم مما لا يكون فيه مس بشرة إلا موضع الحاجة.

وهذه أم عمارة تحدثنا حديثها يوم أحد «خرجت أول النهار ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والريح والدولة للمسلمين فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراحة».

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا ورأيتها تقاتل دوني»[٣].

وتستأذنه صلى الله عليه وسلم أم سنان الأسلمية في الخروج إلى خيبر للسقيا ومداواة الجرحى فقال لها عليه الصلاة والسلام: «فإن لك

---

(١) الظلال الجلد الخامس/ ٢٨٥٥.
(٢) شرح صحيح مسلم/١٢/٨٨.
(٣) الاصابة ٤/٤٥٧.

صواحب قد أذنت لهن من قومك ومن غيرهم فكوني مع أم سلمة »[1].

وفي خيبر أيضاً عن امرأة من بني غفار قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار فقلنا يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير الى خيبر - فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال: «على بركة الله فخرجنا معه »[2].

« حتى المعتدة فلها الخروج في حوائجها نهاراً سواء كانت مطلقة أو متوفى عنها، لما روى جابر قال: طُلقتْ خالتي ثلاثاً فخرجت تجذ نخلها فلقيها رجل فنهاها فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال:

« اخرجي فجذي نخلك لعلك أن تتصدقي منه أو تفعلي خيراً ».

وروى مجاهد قال: « استشهد رجال يوم أحد فجاءت نساؤهم رسول الله ﷺ وقلن: يا رسول الله نستوحش بالليل أفنبيت عند إحدانا فإذا أصبحنا بادرنا إلى بيوتنا؟ فقال رسول الله ﷺ: « تحدثن عند إحداكن حتى إذا أردتن النوم فلتؤوب كل واحدة إلى بيتها »[3].

ويدخل الرسول ﷺ عند عائشة رضي الله عنها وعندها امرأة قال: « من هذه؟ قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: فلانة تذكر من صلاتها قال: مه، عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا، فكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه » أخرجه البخاري في كتاب الإيمان.

---

(١) الإصابة ٤/٤٤٣.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٠٤.

(٣) المغني ٧/٢٢٦.

فلم ينكر عليه الصلاة والسلام زيارة المرأة للسيدة عائشة، ولو كان ذلك محرماً لما أقرها، ولأنكره كما أنكر مبالغتها في العبادة.

كما وطلب من الشفاء - وهي من المهاجرات الأول وبايعت النبي ﷺ وكانت من عقلاء النساء وفضلائهنّ - قال لها صلى الله عليه وسلم: «علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة»[٢].

وكيف يكون تعليمها إلا بلقائها معها وخروجها إليها.

فهذه كلها حالات تخرج فيها المرأة بمعرفة الرسول ﷺ وإقراره بخروجها أو أمره وإذنه الصريح به، فلو كان المقصود بالقرار في البيت عدم الخروج المطلق لنهى عن الخروج ولما أذن به.

ثم إن الحبس الدائم للمرأة في البيت ما هو إلا عقوبة شرعية - كانت قبل أن يشرع حد الزنا فنسخت هذه العقوبة بالحد الشرعي - أقول كان الحبس في البيوت للمرأة التي تأتي الفاحشة وذلك لقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴾[٣].

أما المرأة العفيفة الملتزمة بأحكام دينها، والتي تراقب الله تعالى في حركاتها وسكناتها فهي تقدر شرف مهمتها وعظم مسئوليتها. إنها إن قرت في بيتها فهي في عمل واعٍ يقظ، لا فراغ اللاهيات ولا تفاهة العابثات من ربات الفديو والأزياء والسينما...

---

(١) فتح الباري ١٠١/١.

(٢) الإصابة ٣٣٣/٤.

(٣) سورة النساء، آية ١٥.

إنها تعد لأمتها الإسلامية أبطالها الذين يستعيدون مجدها فتربيهم على الاعتزاز بقيم الإسلام ليفدوه بأنفسهم إن واجههم الخصوم. ويعملون وسعهم لإعلاء كلمة الله.

وإن أرادت الخروج من بيتها: فلن يكون ذلك إلا إن كانت المصلحة الشرعية في الخروج راجحة عنها في البقاء.

وإن خرجت: فبالحدود المشروعة وبالطريقة المشروعة. تستأذن الزوج المسلم ولا تخرج بغير إذنه، وإلا اعتبرت عاصية لله ولرسوله.

وبالمقابل، فزوجها المسلم يرعى الله فيما ائتمنه، فيحرص على أن يبعدها عن الشبهات ومواطن الزلل. ويأخذ بيدها إلى كل خير، ليشاركها أجرها سواء كان زيارة أقاربها وصلتهم أو بر والديها، أو صلة أخواتها في الله، أو العلم المشروع.

ثم إن الأصل أن ينبني البيت المسلم على المودة والرحمة، لا الغلظة والتسلط. فالزوج والزوجة كلاهما يحكم الشرع ويزن الأمور بمقياسه. فلا يتعسف الرجل في استعمال حقه الذي منحه الله إياه وليحفظ وصية الرسول ﷺ بالمرأة «استوصوا بالنساء خيراً» وبالتالي لا يجمح الهوى بالمرأة ولا تستكبر عن طاعة زوجها فتكون في عداد الناشزات.

أما عند عدم وجود الزوج لوفاته، أو لعدم زواج المرأة. فتستأذن أبويها وهذا من برها وحسن صحبتها فهما أحرص الناس على حسن سمعتها وجلب الخير لها.

في الطريق

(اللباس الشرعي - مرافقة المحرم أو عدمها)

أولاً - اللباس الشرعي:

لقد أوجب الله تعالى على المرأة المسلمة إذا بلغت سن الرشد الالتزام بالحجاب عند خروجها من منزلها لقوله تعالى في سورة النور:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾(١)

ولقوله جل وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن

---

(١) سورة النور، الآيات ٣١ - ٣٣.

جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾[1].

وحتى نتعرف على لباس المسلمة يلزم أن نعرف حدود عورة المرأة أمام الأجانب. وكذلك شروط اللباس الإسلامي الصحيح.

أولا: حد العورة أمام الأجانب:

العورة في اللغة: النقصان والشيء المستقبح، ومنه كلمة عوراء أي قبيحة فهي سوأة الإنسان وكل ما يستحي منه وسميت عورة لقبح ظهورها ثم إنها تطلق على ما يجب سترها في الصلاة وعلى ما يحرم النظر إليه[2].

ويمكن أن ترجع الأقوال في حد عورة المرأة أمام الأجانب إلى ثلاثة مذاهب:

١ - المرأة كلها عورة. وهو مذهب الإمام أحمد وأصح قولي الشافعي وإليه ذهب ابن تيمية[3].
٢ - أنها عورة ما عدا الوجه والكفين والقدمين. وهو مذهب أبو حنيفة.
٣ - أنها عورة ما عدا الوجه والكفين فقط وهو مذهب مالك والشافعي والأوزاعي[4].

وسبب الخلاف في ذلك احتمال قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾.

هل هذا المستثنى المقصود منه أعضاء محدودة... أم أن المقصود به ما لا يملك ظهوره؟

---

(١) سورة الاحزاب، آية ٥٩.
(٢) المبدع: ج ١/٣٥٩.
(٣) حجاب المرأة ولباسها في الصلاة وغيرها لابن تيمية /٢٨.
(٤) المغني ج ١/٦٠١.

عودة هنا إلى تفسير الآية وأحاديث الرسول ﷺ وأقوال العلماء، وما كانت عليه نساء السلف الصالح لنرى الأقرب للصواب (والله أعلم).

«واختلفوا في المراد بزينتهن، والزينة: اسم يقع على محاسن الخلقة التي خلقها الله تعالى، وعلى ما يتزين به الإنسان من فضل لباس أو حلي أو غير ذلك.

وأنكر بعضهم وقوع الزينة على الخلقة لأنه لا يكاد يقال في الخلقة أنها من زينتها. وإنما يقال ذلك فيما تكتسبه من كحل وخضاب وغيره...

فالذين حملوا الزينة على الخلقة قال القفال: معنى الآية إلا ما ظهر منها إلا ما أظهره الإنسان في العادة الجارية وذلك في النساء الوجه والكفان. فأمروا بستر ما لا تؤدي الضرورة إلى كشفه....

وإذا كانت شرائع الإسلام حنيفية سهلة سمحة، ولما كان ظهور الوجه والكفين كالضروري لذا اتفقوا على أنهما ليسا بعورة.

... أما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فقالوا: إنه سبحانه إنما ذكر الزينة لأنه لا خلاف أنه يحل النظر إليها طالما لم تكن متصلة بأعضاء المرأة. فلما حرم الله سبحانه النظر إليها حال اتصالها ببدن المرأة، كان ذلك مبالغة في حرمة النظر إلى أعضاء المرأة.

وعلى هذا: لا يحل النظر إلى زينة وجهها من الوشمة والغمرة، وزينة بدنها من الخضاب والخواتم وكذا الثياب»(١).

«وروي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء في قوله تعالى: ﴿ الا ما ظهر منها﴾ ما كان في الوجه والكف والخضاب والكحل.

---

(١) التفسير الكبير للرازي ٢٠٧/٢٣.

وعن ابن عمر مثله وكذلك عن أنس. وروي عن ابن عباس أيضاً: أنها الكف والوجه والخاتم.

وقالت عائشة: الزينة الظاهرة، القلب والفتخة.

وقال أبو عبيدة: الفتخة والخاتم. وقال الحسن: وجهها وما ظهر من ثيابها.

وقال سعيد بن المسيب: وجهها مما ظهر منها.

وروى أبو الأحوص عن عبد الله قال: الزينة زينتان، زينة باطنة لا يراها إلا الزوج، الاكليل والسوار والخاتم.

وأما الظاهرة فالثياب.

وقال إبراهيم: الزينة الظاهرة الثياب. وقال أبو بكر قوله تعالى: ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**﴾ إنما أراد به الأجنبيين دون الزوج وذوي المحارم. لأنه قد بين في نسق التلاوة حكم ذوي المحارم في ذلك. وقال أصحابنا المراد الوجه والكفان لأن الكحل زينة الوجه، والخضاب والخاتم زينة الكف. فإذ قد أباح النظر إلى زينة الوجه والكف فقد اقتضى ذلك لا محالة: إباحة النظر إلى الوجه والكفين.

ويدل على أن الوجه والكفين من المرأة ليسا بعورة أيضاً أنها تصلي مكشوفة الوجه واليدين، فلو كانا عورة لكان عليها سترهما كما عليها ستر ما هو عورة، وإذا كان كذلك جاز للأجنبي أن ينظر من المرأة إلى وجهها ويديها لغير شهوة فإن كان يشتهيها إذا نظر إليها جاز أن ينظر لعذر مثل أن يريد تزوجها، أو الشهادة عليها، أو حاكم يريد أن يسمع إقرارها.

ويدل على أنه لا يجوز له النظر إلى الوجه لشهوة قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «**لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**».

وسأل جرير رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: «اصرف بصرك».

ولم يفرق بين الوجه وغيره. فدل على أنه أراد النظر بشهوة.

«وقول ابن مسعود في أن ما ظهر منها هو الثياب لا معنى له. لأنه معلوم أنه ذكر الزينة، والمراد العضو الذي عليه الزينة، ألا ترى أن سائر ما تتزين به من الحلي والقلب والخلخال والقلادة يجوز أن تظهرها للرجال إذا لم تكن هي لابستها. فعلمنا أن المراد موضع الزينة. كما في نسق التلاوة بعد هذا، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن. والمراد موضع الزينة فتأويلها على الثياب لا معنى له إذا كان ما يرى الثياب عليها دون شيء من بدنها، كما يراها إذا لم تكن لابستها»[1].

وباختصار فأدلة من يرى أن العورة ما عدا الوجه والكفين:

١ - تفسيرهم إلا ما ظهر منها قال ابن عباس: الوجه والكفين وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة مثل ذلك[2].

٢ - قوله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ قال عكرمة تغطي ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها)[3].

وقال ابن حزم:«امرهن الله تعالى بالضرب بالخمار على الجيوب وهذا نص على ستر العورة والعنق والصدر وفيه نص على إباحة كشف الوجه لا يمكن غير ذلك أصلاً»[4].

(١) الجامع لأحكام القرآن للجصاص ٣١٥/٣ - ٣١٦.
(٢) تفسير ابن كثير ٣٨٣/٣.
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٥١٨/٣.
(٤) المحلى لابن حزم جـ ٢٠٩/٣.

٣ - ما روي عن خالد بن دريك عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر الصديق دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفيه»[1].

٤ - ما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أردف الفضل بن عباس خلفه، وفيه قصة المرأة الخثعمية الوضيئة، فطفق الفضل ينظر إليها والرسول ﷺ يأخذ بذقن الفضل، فحول وجهه عن النظر إليها. فقال ابن عباس: «لويت عنق ابن عمك».

فلو كان الوجه عورة لما عرف ابن عباس أنها وضيئة أم لا. وكذلك لأمرها الرسول ﷺ أن تسدل على وجهها الغطاء.

٥ - روي عن عبد الرحمن بن عباس قال: سمعت ابن عباس يذكر أنه شهد العيد مع رسول الله ﷺ وأنه عليه الصلاة والسلام خطب بعد أن صلى ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن وأمرهن أن يتصدقن فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه في ثوب بلال».

فهذا ابن عباس رضي الله عنهما بحضرة رسول الله ﷺ رأى أيديهنّ فعلم أن اليد من المرأة والوجه ليسا بعورة وما عداهما ففرض عليها ستره.

٦ - لأن الحاجة تدعو إلى كشف الوجه للبيع والشراء والكفين للأخذ والإعطاء.

---

(١) نيل الأوطار جـ ٢٥٢/٦ - وحديث عائشة هذا في اسناده سعيد بن بشير وقد تكلم فيه غير واحد إلا أن كثرة طرقه يقوي بعضها بعضاً.

٧ - الإجماع على أنه على المرأة أن تكشف وجهها في الصلاة والإحرام ولو كان الوجه والكفان من العورة لما حرم سترها بل العكس لحرم ابداؤها.

ثانياً: أدلة من يرى أن القدم ليست من العورة:

فقد نظر إلى أن الحرج والمشقة في سترها أشد منه في ستر الكفين لاسيما بالنسبة لأكثر نساء القرى اللاتي يمشين لقضاء حوائجهن فهم قد أولوا الآية أن المراد أنهن منهيات عن إبداء زينتهن إلا ما دعت الحاجة إلى ظهوره وجرى عرف الناس في عصر التنزيل على اعتباره من الزينة التي لم يحظر ابداؤها.

ثالثاً: أدلة من يرى أن المرأة كلها عورة:

١ - المقصود من قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾. أنه ما ظهر بنفسه من غير قصد إلى إظهاره. وفرق في اللغة بين ما ظهر وما أظهر ويشهد لذلك تفسير ابن مسعود والحسن وابن سيرين.. من أنه ما يبدو من أسافل الثياب وما لا يمكن اخفاؤه.

وما ذكر عن ابن تيمية من أنه الثياب الظاهرة.

٢ - قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾.

والجلباب هو الرداء فوق الخمار أو الملاءة وتسميه العامة الازار وهو الازار الكبير الذي يغطي رأسها وسائر بدنها ».[1].

---

(١) حجاب المرأة ولباسها في الصلاة لابن تيمية /٢٨ - ٢٩.

وقد ذكر القرطبي: «أنه لما كانت عادة العربيات التبذل وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعية إلى نظرة الرجال إليهن وتشعب الفكرة فيهن أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن - وكن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكنف - فيقع الفرق بينهن وبين الإماء فتعرف الحرائر بسترهن فيكف عن معارضتهن من كان عزباً أو شاباً»[1].

٣ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[2].

وهو وإن كان القصد فيه زوجات الرسول رضوان الله عليهن فإن الحكم يتناول غيرهن بطريق القياس.

٤ - حديث الرسول ﷺ: «المرأة عورة»[3].

٥ - ما رواه أحمد عن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: «اصرف بصرك» فلو لم يكن الوجه عورة لما أمر بصرف البصر عنه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ٢٤٣/١٤ إلا أن ابن تيمية قال: «ليس في الكتاب والسنة إباحة النظر إلى عامة الإماء ولو ترك احتجابهن وإبداء زينتهن. ولكن القرآن لم يأمرهن بما أمر به الحرائر. والسنة فرقت بالفعل بينهن وبين الحرائر. ولم تفرق بينهن وبين الحرائر بلفظ عام. بل كانت عادة المؤمنين أن تحتجب منهم الحرائر دون الإماء..
فإذا كان في ظهور الأمة والنظر إليها فتنة وجب المنع من ذلك»/حجاب المرأة ولباسها في الصلاة.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٥٤.

(٣) رواه الترمذي في الأدب.

٦ - لا يجب كشف الوجه واليدين في الإحرام، بل يحرم أن تلبس فيها شيئاً مصنوعاً على قدرها »[١].

٧ - لا تقاس العورة في النظر على العورة في الصلاة «فقد ثبت بالنص والإجماع أنه ليس على المرأة في الصلاة أن تلبس الجلباب الذي يسترها إذا كانت في بيتها، وإنما ذلك إذا خرجت. وحينئذ فتصلي في بيتها وإن رؤي وجهها ويداها وقدماها. كما كن يمشين أولاً قبل الأمر بإدناء الجلابيب عليهن. فليست العورة في الصلاة مرتبطة بعورة النظر لا (طرداً) ولا عكساً».

«إن طائفة من الفقهاء ظنوا أن الذي يستر في الصلاة هو الذي يستر عن أعين الناظرين وهو العورة. وأخذ ما يستر في الصلاة من قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾. ثم قال تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن (يعني الباطنة) إلا لبعولتهن...﴾ الآية: فقال: يجوز لها في الصلاة أن تبدي الزينة الظاهرة دون الباطنة، والسلف قد تنازعوا في الزينة الظاهرة على قولين:

فقال ابن مسعود ومن وافقه هي الثياب.

وقال ابن عباس ومن وافقه هي في الوجه واليدين مثل الكحل والخاتم.

وعلى هذين القولين تنازع الفقهاء في النظر لغير شهوة إلى وجهها ويديها وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وقول في مذهب أحمد.

وقيل: لا يجوز وهو ظاهر مذهب أحمد فإن كل شيء منها عورة حتى ظفرها وهو قول مالك.

---

(١) المغني جـ ٦٠٢/١.

وحقيقة الأمر أن الله جعل الزينة زينتين: زينة ظاهرة وزينة غير ظاهرة. وجوز لها إبداء زينتها الظاهرة لغير الزوج وذوي المحارم.

وكانوا قبل أن تنزل آية الحجاب كان النساء يخرجن بلا جلباب يرى الرجل وجهها ويديها. وكان إذ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين، وكان حينئذ يجوز النظر إليها لأنه يجوز لها إظهاره. ثم لما أنزل الله عز وجل آية الحجاب بقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ حجب النساء عن الرجال.

ولما اصطفى صفية بنت حيي بعد ذلك عام خيبر، قالوا: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين وإلا فهي مما ملكت يمينه فحجبها.

فلما أمر الله تعالى أن لا يسألن إلا من وراء حجاب، وأمر أزواج الرسول وبناته ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن - والجلباب هو الملاءة - وهو الازار الكبير الذي يغطي رأسها وسائر بدنها.

وقد حكى أبو عبيدة وغيره: أنها تدنيه من فوق رأسها فلا تظهر إلا عينها، ومن جنسه النقاب.

فكان النساء ينتقبن، وفي الصحيح أن المحرمة لا تنتقب ولا تلبس القفازين فإذا كن مأمورات بالجلباب لئلا يعرفن، وهو ستر الوجه بالنقاب - كان الوجه واليدان من الزينة التي أمرت ألا تظهرها للأجانب.

فما بقي يحل للأجانب النظر إلا إلى الثياب الظاهرة.

فابن مسعود ذكر آخر الأمرين.

وابن عباس ذكر أول الأمرين»[١].

---

(١) الفتاوى جـ ٢٢/ من ص ١٠٩ - ١١٥ باختصار.

مناقشة:

إذا تأملنا ما سبق من أقوال المفسرين والصحابة وأدلة الفقهاء نجد:

أولا: الاتفاق على أنه في بدء الإسلام لم يكن حجاب الوجه واجباً، ولم يشرع إلا في المدينة بعد نزول آيات الحجاب.

ثانياً: الاتفاق أن حجاب الوجه واجب لأمهات المؤمنين. لقوله تعالى: ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب**﴾ وفيه حظر رؤية أزواج النبي ﷺ وبين أن ذلك أطهر لقلوبهم وقلوبهن﴾[1].

رد على شبهة:

فإن قيل: إن حجاب الوجه خاص بزوجات الرسول ﷺ فلهن وضع خاص، وهن لسن كأحد من النساء الأخريات لقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾[2] فلا يصح أن يقال بحجاب الوجه للمرأة اقتداء بهن وجوباً أو استحباباً...

كما أن الحجاب لم يعرف غيرهن إلا في عصور متأخرة زمن العثمانيين.

نقول: إن هذا الكلام مخالف للحقيقة من ناحيتين:

الأولى: من ناحية جمال التعبير وحسن الحض على كمال الستر، والثانية من ناحية التاريخ.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص جـ ٣/٣٧٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتين ٣٣، ٣٤.

- أما من ناحية اللغة العربية وجمال التعبير فيعجبني في هذا المجال رد أبي الأعلى المودودي رحمه الله وأكتفي بذكره:

إن مصدر الفهم الخاطىء في الحقيقة هو مبتدأ الآية: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ ولكن هذا الأسلوب لا يختلف مثلاً عن قولك لولد نجيب: يا بني لست كأحد من عامة الأولاد حتى تطوف في الشوارع، وتأتي بما لا يليق من الحركات، فعليك بالأدب واللياقة.

فقولك هذا لا يعني أن سائر الأولاد يحمد فيهم طواف الشوارع، وإتيان الحركات السيئة. ولا يطلب منهم الأدب واللياقة.

بل المراد بمثل قولك هذا تحديد معيارٍ لمحاسن الأخلاق وفضائلها، لكي يصبو إليها كل وليد يريد أن يعيش كنجباء الأولاد فيسعى في بلوغه »[1].

- أما أن ذلك القول مخالف من حيث التاريخ. فقد عرف عن الصحابيات حجاب الوجه في كثير من الأحاديث:

عن عبد الخبير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال:

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ يقال لها: أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابن لها قتل في سبيل الله، فقال لها بعض أصحابه: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي »[2] رواه أبو داود.

---

(١) الحجاب للمودودي.

(٢) تيسير الوصول جـ ٢٢٠/١.

ثم إنه روي أن امرأة أومأت من وراء ستر بيدها كتاباً إلى رسول الله ﷺ فقبض النبي ﷺ يده فقال: «ما أدري أيد رجل أم يد امرأة؟ قال: لو كنت امرأة لغيرت اظفارك بالحناء»[1].

فيستدل بذلك على سترها لوجهها.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت:

لما نزلت هذه الآية: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ خرج نساء من الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها»[2].

ثم إنه إلى عهد قريب لا زلنا نرى حتى في أكثر البلاد الإسلامية تفلتاً. لا زلنا نرى آثار حجاب الوجه والبرقع والملاءة في الأزياء الشعبية. «حتى المتظاهرات في الثورة الوطنية المصرية عام ١٩١٩/ كن يخرجن في ذلك الحين محجبات يرتدين البراقع»[3].

ثالثاً: الخلاف حول حجاب الوجه والكفين: وهذه المسألة قد أخذت كثيراً من الأخذ والرد. ومع تربية النساء على تقوى الله تبقى قيمة هذا الخلاف من الناحية العملية محدودة.

ذلك أن المسلمة حقاً لن ترضى في دينها الدون. فتسعى نحو الأكمل والأفضل اقتداء بأمهات المؤمنين. فحتى عند من يرى جواز إظهار الوجه فلا خلاف أن ستره أفضل. فتحرص المسلمة على الأفضل وهو: ستر الوجه.

---

(١) سنن أبي داود جـ ١٠٨/٤.

(٢) أحكام القرآن للجصاص جـ ٣٧٢/٣.

(٣) الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار /ص ٨١.

وكذلك فمن يرى أنه عورة: يرى أنه يجوز ابداؤه للضرورة كالشهادة والخطبة وكذلك للإحرام. وإذا انتهت الضرورة تعود للأصل وهو الحجاب ورحم الله المودودي إذ قال:

«وتدبر حقيقة هذا الاختلاف بين المفسرين: إن هؤلاء جميعاً قد فهموا من قوله: «إلا ما ظهر منها» أن الله تعالى قد أباح للمرأة إبداء زينة تظهر على الرغم من إرادتها أو تدعو الضرورة إلى إبدائها، أما أن تعرض المرأة وجهها ويديها عرضاً يستميل الأنظار فلم يرده أحد منهم. وإنما كلهم قد اجتهد أن يفهم حسبما أوتي من الفهم وحسبما ارتآه من حاجات النساء أي شيء تدعو الحاجة إلى كشفه وإلى أي حد تستلزم كشفه وأي شيء قد يظهر بالضرورة - أو هو يظهر أبداً في عامة الأحوال - وبحسب ذلك أدلى برأيه في تفسير الآية.

فمقصود الشارع إذاً: «أنه إن كشفت المرأة شيئاً من نفسها إظهاراً لحسنها وجمالها فهو إثم وإن ظهر منها شيء بنفسه بدون أن تتعمد إظهاره فلا جناح فيه عليها»(١).

إن المؤمنة الملتزمة بأحكام دينها لن تفرط بحجاب وجهها سواء اعتبرته فرضاً أم فضيلة، فهي تسعى للفضائل دائماً وأبداً وتبعد عن الإثم الذي يحيك في الصدور. قال الرسول ﷺ: «الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»(٢).

أما تلك التي تتعمد إظهار وجهها في بلاد يسودها غطاء الوجه فعملها تجرؤ على الشريعة والأعراف الإسلامية، وتمرد عليها لا يقل عن تمرد قاسم أمين وصفية زغلول وهدى شعراوي فهنّ لم يأتين بأكثر منها.

---

(١) الحجاب للمودودي/ ٢٩٩.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦/١١١.

رابعاً: الحد الأدنى من الستر ومساوىء السفور:

الاتفاق على أنه لا يجوز مطلقاً أن تبدي المرأة ما سوى الوجه والكفين (على خلاف فيه) إلا للضرورة كالتداوي وهي تقدر بقدرها.

فأما أن تبدي المرأة النحر والساقين والذراعين وتحسر عن رأسها بالصورة التي نراها عند كثيرات ممن ينتسبن للإسلام: فهو ترد إلى أكثر من حال الجاهلية الأولى التي قال تعالى فيها: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ فكانت المرأة تمشي بين أيدي القوم فذلك تبرج الجاهلية الأولى.

وقال سعيد عن قتادة: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ يعني إذا خرجتن من بيوتكن. قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهاهن الله تعالى عن ذلك».

وقيل: هو إظهار المحاسن للرجال.

وقيل في الجاهلية الأولى: ما قبل الإسلام، والجاهلية الثانية: حال من عمل في الإسلام بعمل أولئك، فهذه الأمور كلها مما أدب الله تعالى به نساء النبي ﷺ صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مرادات بذلك[1].

فماذا يقال عمن تبرز مفاتنها وتتجول في المنتديات والأسواق، وقد تزينت وأجهدت نفسها لتكون في أبهى حلة، وحسب أصول التجميل في آخر صيحاته ومبتكراته؟!.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص جـ٣/٣٦٠.

هل يقال عنها إلا أنها فاسدة أو على الأقل عندها استعداد للفساد؟!. فما بال الرجل إن لم يهذبه الدين ولم تقومه العقيدة. ما باله عندما يرى أمثال هذه التي تعرض نفسها ألا يتبعها بنظراته المسمومة؟!.

فرب أسرة نقضت دعائمها بسبب فساد ربتها... بسبب عري فاضح منها، بسبب نظرة نهمه و... وكان الفراق.. وكان تحطيم كيان الأسرة، وكم من تبرج أودى بصاحبته إلى مشارف الهلاك.. تدنس خلقي، ثم ثورة الأهل أو الزوج... ثم القتل. نعم القتل، وإذا بدأ القتل فقد تواترت الجرائم.

فكم تجرم في حق نفسها وأهلها ومجتمعها تلك التي تخلع سترها الذي منَّ الله تعالى على الإنسان أن وهب له ريشاً ولباساً يستره، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾[1].

والسفور حالة حيوانية بدائية، فإن خلعت المرأة سترها فقد رضيت لنفسها أن تنحط إلى تلك المنزلة.

والحياء غريزة طبيعية.. ففي الجسد أعضاء وأجزاء قد جُبِل الإنسان على الرغبة في سترها وإخفائها.

والشيطان - الشيطان وحده - هو الذي يحبب العري للجسم، وخلع ستره قال تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف، آية ٢٦.

(٢) سورة الأعراف، الآيتين ٢١ - ٢٢.

الشيطان هو عينه هكذا سول ووسوس قديماً وهذا ديدنه اليوم:
﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

ثم نظرة إلى المجتمع الذي يسوده السفور والتبرج، كم من رجل اختصر من ضرورياته وأحياناً استغنى عنها، من أجل ضروريات زوجته بين الناس وإلا فلا يعلم ما ستكون النتيجة؟!.

وكم من شاب عزف عن الزواج بسبب مصاريف المرأة الزائدة والتي يذهب جلها من أجل المظاهر الخارجية في الشارع، لا من أجل بيتها ومن في البيت حتى تتزين له أو تلبس له؟!.

هذا ما تقوله احداهن.

وكم من فاسق وجه نشاطه إلى ملاحقة فتاة مستهترة وسافرة بدلاً من أن يوجهه إلى عمل بناء مفيد له ولمجتمعه؟!.

وكم من حادث انتحار حصل وكانت مقدماته النظرات النهمة للمرأة السافرة؟!.

وهكذا فسفور المرأة: انتكاس عن الفطرة. واتباع للشيطان ووساوسه،يهدر نشاط الشباب فيتجه للتفاهات. ويؤدي إلى عزوفهم عن الزواج بسبب مصاريف التبرج. ويساهم في انهيار الأسرة وتواتر الجرائم من القتل والانتحار.

وهو وبال على المرأة وعلى سمعتها، وعلى مجتمعها وعلى الأمة وثروتها.

---

(١) سورة المجادلة، آية ٢٠.

فقد تصل مصاريف المساحيق وأدوات التجميل - ضروريات السفور - إلى ما يجهز كتيبة من الجيش أو يعمل مصنعاً يفيد الأمة.

السفور دعوة هدامة:

ولنذكر جميعاً أن هذه الدعوة الشيطانية للتهتك هي نفسها التي أعلنت على لسان فرويد بقوله الفاجر:

«إن الفضيلة كلها كذب وزور وخداع، وإن الإنسان في حقيقته ما هو إلا طاقة جنسية قاهرة مندفعة كالحيوان. وإن إقامة الحواجز في طريقها من خلق أو دين أو عرف أو تقاليد، لا ينظفها ولا يهذبها وإنما هو فقط يكبتها».

إن فرويد هذا هو من يقول عنه حكماء صهيون: «إن فرويد واحد منا، وينبغي أن ننشر تعاليمه بكل قوتنا. يجب أن نضع الرذائل الإنسانية تحت الشمس حتى لا يستحي أحد من كشفها»[1].

لذا قام من أتباع فرويد وتلامذته من يردد خبثه كالببغاوات ويقولون في دسائسهم عن الحجاب: إن الحجاب ليس إلا عامل من العوامل المحركة للشهوات والغرائز فالمرء بطبعه يحب ما يمنع منه.

لنحتكم إلى العقل، ولندع الهوى والشهوات جانباً، فلو قدر أن التقى رجل بفتاتين إحداهما متبرجة متزينة نصف عارية والأخرى محتشمة ومتحجبة... فلمن يجمح الهوى ويشتد الميل؟!...

إننا كثيراً ما نحب أشياء، لكن ماذا يعمل العاقل؟! إنه يسعى بالطرق المعقولة للوصول إليها..

---

(١) في النفس والمجتمع لمحمد قطب /٩٩.

فلو سلمنا ميل الرجل للمتحجبة، إن لباسها كفيل بأن يوحي إليه أنه لن ينالها إلا بطريقة مشروعة يسعى لتحقيقها، وأي ضرر في ذلك على المرأة والمجتمع؟

لكن والحق يقال: إن أحاسيس هؤلاء ومشاعرهم وحبهم للمنافع المادية هو الذي فتن عقولهم، فليس كرههم للحجاب أو إنكارهم إياه إلا لكونه مناقضاً للأخلاق الغربية التي آمنوا بها. وكونه يقف حائلاً بينهم وبين ما يطمعون إليه من اللذات.

إن أفهامهم المريضة دعتهم إلى الإفراط في اتباع الهوى وأي إفراط! وليس لنا هنا إلا أن نمتثل لقوله تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾(1).

يقول المرحوم محمد طلعت حرب باشا في كتابه المرأة والحجاب: (إن رفع الحجاب والاختلاط، كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية في النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الاسلامي).

ويقول أيضاً في نفس الكتاب: «إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في الشرق لا في مصر وحدها، إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل. بل الفساد الذي عم الرجال في المشرق»(2).

فالدعوة إلى هتك الحجاب ما هي إلا مؤامرة علينا لإبعادنا عن إسلامنا سر قوتنا، وليفسد المجتمع بإفساد نصفه الأول: المرأة. والذي يضمن فساد النصف الآخر الذي تهيجه بتبرجها أو بسوء تربيتها له.

---

(1) سورة الكهف، آية ٢٨.

(2) الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار/ ٧١ - ٧٢.

لذا لا غرابة أن لا نسمع صوت الدعوة للسفور إلا من كل مشبوه وثيق الصلة بأعداء الإسلام.

فهذه هدى شعراوي إحدى داعيات السفور النشطات بمصر: «تلقت دعوة إلى حضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي بروما عام ١٩٢٢م، فلما عادت كونت الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣م ووضعت الحجر الأساسي له في ابريل سنة ١٩٢٤م».

«والسيدة هدى شعراوي هي ابنة محمد باشا سلطان الذي كان يرافق جيش الاحتلال في زحفه على العاصمة ويدعو الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته، ويهيب إلى تقديم كافة المساعدات المطلوبة له.

وقد سجل له التاريخ صفحة خالدة حينما تقدم مع فريق من الخبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال شكراً لهم على انقاذ البلاد» تراجع الثورة العرابية لعبد الرحمن الرافعي.

«وبعد عشرين عاماً من تكوين هذا الاتحاد استطاع أن يمهد لعقد المؤتمر النسائي العربي عام ١٩٤٤م وقد حضره مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة واتخذت فيه القرارات المعتادة. وفي مقدمتها تقييد الطلاق وتعدد الزوجات والمساواة التامة مع الرجل وزيد على ذلك المطالبة بحذف نون النسوة».

وفي ذلك الوقت الذي لقي فيه هذا المؤتمر استياء شديداً من الأوساط الإسلامية في مصر وكافة الدول العربية، حتى أن علماء سوريا احتجوا رسمياً إلى الحكومة على تمثيل سورية في ذلك المؤتمر، وأصدر ملك شرقي الأردن منشوراً إلى رئيس وزرائه يلفت فيه نظره إلى حركة التمرد على الآداب والتقاليد الاسلامية ووجوب التزام المرأة المسلمة للحجاب الذي كرمها الله به...

نقول في هذا الوقت الذي أثار فيه المؤتمر ثائرة الرأي الإسلامي العام كانت الدوائر الأجنبية في انجلترا وأمريكا خاصة... ترحب بهذه الحركة وتهلل. حتى أن حرم الرئيس روزفلت - وهي التي بذلت كل جهودها لدعم اليهود لتكوين وطن قومي لهم في فلسطين - أبرقت إلى المؤتمر بتاريخ ١٧ ديسمبر/١٩٤٤م تحييهن فيه.

هذا وقد كانت الأحزاب النسائية تحظى بكل دعم مادي ومعنوي من الدوائر الاستعمارية فقد قالت للجمهور المصري بالعدد/٢٤: تشترك كل من السفارة البريطانية والأمريكية بمبلغ ألف جنيه سنوياً في بعض المجلات التي يصدرها حزب بنت النيل[١].

فما هذا الكرم الغريب من هاتين الدولتين؟ ومن المستفيد من إنفاق هذه الأموال؟ هل يعملون ذلك حباً بالمسلمين ولمصلحتهم؟!.

فليس عجباً بعد ذلك أن قامت من النسوة من تعرض أفكارها بمعرض الغيورة على المجتمع، الداعية إلى حضارته ورقيه والتي تريد له - التقدمية بزعمها - والخلاص مما تسميه الرجعية. في حين أن ما تدعو له من التبعية لأعداء الإسلام والتخلي عن شرع الله هو الرجعية الحقة وهو الانحطاط إلى مرتبة الجاهلية بل واللاإنسانية لأن شرائع الإنسان جميعها لا تقر التعري والإباحية:

---

(١) الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار من ص ٨١ - ٩١ ومن أرادت المزيد في هذا الموضوع من قصة قاسم أمين وكتابه تحرير المرأة إلى صالونات نازلي فاضل وهدى شعراوي إلى صفية زغلول فلتقرأ «واقعنا المعاصر من ص ٢٥٠ وبعدها» للأستاذ محمد قطب.

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾(١).

كلمة أخيرة:

وبعد هذا فهل يكون في عداد المسلمين من ينكر فرضية الحجاب؟ وهل تكون من المؤمنات تلك التي تسمع أمر ربها عز وجل ثم لا تطيعه اتباعاً للشهوات؟ والله تعالى يقول:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾(٢).

يقولون سمعنا وأطعنا، لا لنشاور، ولا لنفكر ولا لنستفت المجتمع. ولا لأن الناس تنتقد والأحوال تغيرت...

وإنما يقولون: سمعاً وطاعة، خضوع واستكانة.

وهل تكون مؤمنة تلك التي تقرأ آيات الحجاب... وبعد ذلك تسخر منه وتعتز بشرع الكافرات وتهزأ بالحجاب شرع الله والله تعالى يقول:

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ... إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾(٣)

---

(١) سورة الكهف، الآيات ١٠٣ - ١٠٦.

(٢) سورة النور، آية ٥٢.

(٣) سورة التوبة، الآيات ٦٤ - ٦٦.

ويقول جل وعلا في أمثال هؤلاء:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١).

وفيها بيان واضح وزاجر لمن تطيع غير الله وتؤثر العمل بقوله على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة... إنها إن أطاعت شرع باريس وهوليود وعصت شرع ربها: فقد اتخذتها أرباباً من دون الله.

وأنت أختي المؤمنة: يا من امتلك الإيمان قلبك فعملت بدينك في وقت أضحى التقليد فخراً، والتبعية راية وشعاراً، لا يضرك من ضل إذا اهتديت، حجابك فيه كل الخير لك. ليسخر من يسخر وليضحك من يضحك، فكم سخر الباطل من الحق. وطالما سخر فرعون من موسى، والجاهلية العربية من محمد عليه السلام. لكن ذلك لم يضر الحق شيئاً وكان النصر له.

اثبتي كالطود الشامخ أمام أعداء دينك الذين يشنونها حرباً عليك في منعك التعليم أو العمل إن تمسكت بحجابك. وقولي لهم بعزة المؤمنة كما قال فرعون لموسى:

﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾(٢).

كوني كما أراد الله لك مناراً يهدي للأجيال سبل الحقيقة والرشاد ولا يغرنك قول التافهات: ذهب جمالكن وخبا نوركن تحت حجابكن لا وربي لأن ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾(٣)

---

(١) سورة التوبة، آية ٣١.

(٢) سورة طه، آية ٧٢.

(٣) سورة النور، آية ٤٠.

عليك بإسلامك عليك بحجابك تمسكي به وعضي عليه بالنواجذ وقولي لمن يريد بك سوءاً:

أسفور والحيـــــــا يخطره   وتقى الله وآداب السلــف؟!
ليست المرأة إلا درة   لا يصان الدر إلا بالصدف.

صفات اللباس الشرعي:

بقي علينا أن نتعرف على مواصفات اللباس الشرعي الساتر المحتشم وهي:

١ - ان لا يصف الجسم ولا يشف عنه:

ذلك أن اللباس الشفاف لا يجزيء لأن ستر العورة لم يحصل فالواجب الستر بما يستر لون البشرة.

«فإن كان اللباس خفيفاً يبين لون الجلد من ورائه فيعلم بياضه أو حمرته لم تجز الصلاة (وكذلك في الخروج من باب أولى) لأن الستر لم يحصل»[١].

وقد جاء في حديث الرسول ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها. وإن ريحها توجد من مسيرة كذا وكذا»[٢].

فالكاسيات العاريات من يلبسن ثياباً رقيقة تصف لون بدنها أو تستر بعض بدنها وتكشف بعضه.

---

(١) المغني جـ ٥٧٩/١ وهذا أيضا رأي الشافعية (المهذب جـ ٦٤/١).
(٢) شرح صحيح مسلم جـ١٠٦/١٤.

وهل من فرق بين من تعرت ومن لبست ما يظهر أجزاء الجسم ويشف عنها؟!.

ألا ليس من فرق إلا أن في لباسها الكاسي العاري فتنة أكثر. نعوذ بالله منه ومن فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة.

وكما أنه لا يجوز لبس ما يظهر لون الجسم، كذلك لا يجزيء لبس ما يصفه (شكله وحجمه) فقد روي عن أسامة بن زيد قال: كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة كانت مما أهدى له دحية الكلبي. فكسوتها امرأتي. فقال: مرها أن تجعل تحتها غلالة فإني أخاف أن تصف حجم عظامها. رواه أحمد[1].

٢ - أن لا يكون ثوب شهرة:

كما ويشترط في اللباس أن لا يكون ثوب شهرة لحديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة»[2] وقد يكون لباس الشهرة بالترفع في اللباس والتغالي فيه، فهذا السرف الذي نهى الله تعالى عنه

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[3].

وقد يكون بالمذلة فيه ولبس ما يزدرى به الإنسان كي يشتهر بالزهد والإعراض عن الدنيا، فيشار له بالبنان.

---

(١) نيل الأوطار جـ ١١٩/٢ القبطية: نسبة الى قبط مصر. الغلالة: ستار تحت الثوب (بطانة).

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة نيل الأوطار جـ ١١٦/٢.

(٣) سورة الإسراء، آية ٢٨.

فكلا هذين يشملها الحديث.

لذا فيستحب أن يتوسط في اللباس، ولا يقتصر على ما يزدرى به لغير حاجة ولا مقصود شرعي وهو يقدر على أفضل منه. ويدل على ذلك حديث معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

« من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه، دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره الله من أي حلل الإيمان شاء يلبسها »[١] رواه الترمذي.

٣ - أن لا يكون به طيب:

منعاً لكل المثيرات في المجتمع الإسلامي فلا يجوز أن يكون في لباس المرأة طيب. فهذا المسجد الذي أمر الله تعالى عباده بأن يأخذوا زينتهم عنده لقوله عز وجل: ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ نهيت المرأة إن أرادت حضوره أن تمس الطيب لحديث امرأة ابن مسعود قالت قال لنا رسول الله ﷺ: « **إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً** » رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهن تفلات** »[٢] رواه أبو داود بل وزيادة عن ذلك لا يقبل الله صلاتها إن تعطرت للمسجد بل عليها أن تعود لتغتسل غسلها من الجنابة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ولذيلها إعصار فقال: يا أمة الجبار، جئت من المسجد؟ قالت: نعم. قال: وله تطيبت؟ قالت: نعم.

قال: إني سمعت حبي أبا القاسم ﷺ يقول: « **لا تقبل صلاة لامرأة**

---

(١) المجموع جـ ٢٥٣/٤.

(٢) المجموع جـ ٢٥٣/٤ تفلات: تاركات الطيب.

تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة »[1] فإذا كانت المرأة منهية عن التطيب للمسجد لما في الطيب من إثارة وإغراء، فكيف بمن تتطيب للسير في الشارع وللذهاب للزيارة؟.

٤ - أن لا يشبه لباس الكافرات:

إن المسلمة لها شخصيتها الخاصة فلا تقلد الكافرات في أفعالهن لم نقلدهن ونحن القدوة المثلى؟ نحن على الحق وهن على الباطل. نحن يجب أن نقلَّد لا أن نقلِّد ونحن من أعزنا الله بالإسلام. وقد بين لنا نبينا صلى الله عليه وسلم: « من تشبه بقوم فهو منهم »[2].

إن في تقليدهن اعتراف واضح بعلو مكانتهن وفضلهن واتخاذهن المثل الأعلى.

وقد يؤدي ذلك الى ذوباننا في بوتقة الكافرات والفاجرات ومن ثم استعباد عقولنا وقلوبنا وحب تقليدهن حتى في عقائدهن.

ولقد بين مالك بن نبي تأثير اللباس على النفس:

«ليس اللباس من العوامل المادية التي تقر التوازن الأخلاقي في المجتمع فحسب. بل إن له روحه الخاصة به، وإذا كانوا يقولون: « القميص لا يصنع القسيس » فإني أرى على العكس من ذلك، فإن القميص يسهم في تكوين القسيس إلى حد ما. لأن اللباس يضفي على صاحبه روحه، ومن المشاهد أنه عندما يلبس الشخص لباساً رياضياً. فإنه يشعر بأن روحاً رياضية تسري في جسده ولو كان ضعيف البنية وعندما يلبس لباس العجوز فإن أثر ذلك يظهر في مشيته وفي نفسه ولو كان شاباً قوياً »[3].

---

(١) سنن ابي داود جـ ١١/٤. اعصار: غبار.

(٢) شرح صحيح مسلم جـ ٤٦/١٤.

(٣) ص ١٢٣/ شروط النهضة، مالك بن نبي.

ولقد كتب عمر رضي الله عنه لأمير جيش المسلمين بأذربيجان:

«إياكم والتنعم وزي أهل الشرك، ولبوس الحرير»[1].

ولكن هل يعني هذا المخالفة في كل شيء؟.

لقد وافقهم الرسول ﷺ فيما فيه مصلحة ولا يمس العقيدة فقد روى عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أراد أن يكتب الى كسرى وقيصر والنجاشي، فقيل إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم. فصاغ النبي ﷺ خاتماً حلقته من فضة ونقش فيه محمد رسول الله.

ومما يؤيد ذلك ما ورد أن رسول الله ﷺ كان يلبس النعال التي لها شعر وأنها من لباس الرهبان!.

وفي ذلك إشارة إلى أن صورة المشابهة التي فيها صلاح العباد لا تضر»[2] فإن لبسنا من منتوجاتهم أو خيط الثوب بطريقتهم وآلتهم - على أن يتصف بصفات اللباس الإسلامي، فكل ذلك مما حدث من النعيم والراحة وفيه المصلحة. أما ما عدا ذلك من حماقات الكافرات فنلقيه وراء ظهورنا. ونتعالى عن الالتفات إليه.

٥ - ان لا يشبه لباس الرجل:

اختص الرجل بلباس معين مغاير لما عليه لباس المرأة. فلا يجوز لأي منهما لبس ما اختص به الآخر. لأن المرأة المتشبهة بالرجال تكتسب من أخلاقهم حتى يصير فيها من التبرج والبروز ومشاركة الرجال ما قد يفضي ببعضهن إلى أن تظهر بدنها كما يظهره الرجل. وتطلب أن تعلو على الرجال كما تعلو الرجال على النساء وتفعل من الأفعال ما ينافي الحياء والخفر المشروع للنساء[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حاشية ابن عابدين جـ ٥٨٣/١.

(٣) الفتاوى ١٥٤/٢٢.

وعن أنس رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال.

وفي رواية لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء وقال: أخرجوهم من بيوتكم فأخرج النبي ﷺ فلاناً وأخرج عمر فلاناً »[١].

ففي ذلك دليل على أنه يحرم على النساء التشبه بالرجال في الكلام والمشي واللباس وغير ذلك. لأن في تشبه كل نوع بالآخر انحراف عن الفطرة البشرية وفي ذلك ما فيه من مضرة على المجتمع والأطفال، الناشئين الذين يحتاجون إلى قوة الأب ورجولته، يحتاجون إلى حنان الأم وعطفها ورقتها.

وقد دخل الرسول ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها، وهي تختمر فقال: « لية لا ليتين »[٢].

فأوصى أن تديره مرة لا مرتين لئلا يشبه اختارها تدوير عمائم الرجال إذا اعتموا فيكون ذلك من التشبه المحرم.

« وللشارع في هذه المخالفة مقصودان:

أحدهما، الفرق بين الرجال والنساء.

والثاني: احتجاب النساء. فلو كان مقصوده مجرد الفرق لحصل ذلك بأي وجه حصل الاختلاف »[٣].

إن العاقل من اتعظ بغيره فلقد كان نتيجة تشبه كل نوع بالآخر في أوروبا وغيره أن برزت طائفة سميت - الجنس الثالث.

---

(١) حديث صحيح ورد في البخاري في اللباس. والذي أخرجه الرسول ﷺ هو هيت المخنث كما ورد في الإصابة جـ ٥٨١/٢/ والذي اخرجه عمر جعدة السلمي/ فتح الباري ١٧٣/١٥.

(٢) أخرجه ابو داود في اللباس.

(٣) الفتاوى جـ ١٥٢/٢٢.

جنس لا فيه صفات الذكورة الحقة ولا الأنوثة الحقة عار على مجتمعه وعبء ثقيل لا يجلب أي نفع له.

٦ - أن لا يكون به صور ما فيه روح أو صلبان.

ومن شروط اللباس أيضاً: أن لا يكون فيه صور ما فيه روح أو تصاليب ونحوه. لحديث الرسول الله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت على بابي درنوكاً فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرني فنزعته».

قال النووي قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد. وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بالوعيد الشديد المذكور في الأحاديث سواء كان في ثوب أو في بساط أو درهم أو دينار.. واتخاذه في ثوب أو عمامة حرام. هذا مذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين.

وقال ابن عقيل: يكره لبسها وليس يحرم. وقال أبو الخطاب: هو محرم لأن أبا طلحة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»

وقد جاء في الحديث: «**إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له**»(٢).

وبعد: فهذا لباس المسلمة التي انفصلت عن المفاسد بكل ما فيها وأقبلت على الإسلام بكل ما فيه: يكون ساتراً لجسمها ولا يصفه ولا يشف عنه.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي جـ ١٤/٨٤ - ٩٣.

(٢) المرجع السابق. الدرنوك: ستر له خل وجمه درانك.

ولا هو بلباس شهرة ولا يشبه لباس الرجال أو الكافرات ولم يمسه الطيب، وليس فيه صور ذوات الأرواح أو الصلبان. ثم بعد هذا لا تنسى المسلمة الحشمة والوقار في الخروج. وعدم لفت النظر إليها لقوله تعالى:

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾(١).

ويقاس على ذلك تحريك الأيدي بالأساور، والتبختر بالمشية وكل ما يحمل على الظن أن بالمرأة ميلاً إلى الفسوق.

فواحر قلباه على ما تفعله نسوة اليوم.. إن تبرجهن ليس مجرد تمايل في مشية أو ضربة بقدم للفت الأنظار، ولا نغمة في صوت. إن أسلحة الشيطان أكثر. يحرصن أن لا يعطلنها..!.

ولهن عنده كل يوم عرض جديد.

إن ما يفعلنه نهاية التهتك وكشف العورات، وإظهار مواضع الزينة التي أمرن بسترها وعلى رجالهن -ليس عليهن وحدهن - وابل عظيم من تلك الذنوب. لا سيما وأنهم يسمحون لهن بالخروج متى شئن وكيف شئن ويفتخرون بذلك أمام الملأ، وقد فاتهم أن عليهم إن كانوا يحبون أهلهم، أن يقوهم ناراً وقودها الناس والحجارة.

أما أنت أيتها الأخت المؤمنة:

فزيارتك على بركة الله ولمرضاة الله. وبلباس شرعه الله، تعتزين به ولا تأبهين لسخرية الساخرين. يكفيك وعد الله تعالى بالقسط والإنصاف لك ولأمثالك في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، قال تعالى:

---

(١) سورة النور، آية ٣١.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (١).

ثانياً: هل يشترط مرافقة المحرم لها أثناء ذهابها؟

إن الإسلام الذي يريد صيانة المرأة والمجتمع على السواء حظر عليها أن تسافر دون محرم. فإذا كانت زيارتها لا تتم إلا بالسفر فلا بد من مرافقة المحرم لها لحديث الرسول ﷺ:

«لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم».

وقد جاء الحديث برواية **«لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم».**

وفي رواية مسيرة يوم وليلة.

وفي رواية لأبي داود «لا تسافر بريدا» وكله صحيح.

قال النووي: ليس المراد من التحديد ظاهره، بل كل ما يسمى سفراً فالمرأة منهية عنه بغير زوج أو محرم خشية الفتنة من خلوة ونحوها. لحديث ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يخطب ويقول: **«لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم»**(٢).

---

(١) سورة المطففين، الآيات ٢٩ - ٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٢/٩ - ١٠٩ بإيجاز وإتماماً للفائدة: مسافة البريد أربعة فراسخ. والفرسخ ثلاثة أميال ١٨٤٨ متراً فيكون طول البريد ٢٢١٧٦م= (٢٢ك م و١٧٦متراً)

ومسافة مسيرة يوم تساوي (٨٨ك م و٧٠٤م).

ومسافة مسيرة ثلاثة أيام تساوي (٢٦٦ ك م و١١٢م) النظم الاسلامية لصبحي الصالح ٤١٧.

فالخلوة بالأجنبي حرام باتفاق العلماء. حتى أخو الزوج ونحوه من أقاربه فالخلوة بهم حرام لحديث الرسول ﷺ: «**إياكم والدخول على** النساء فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ﷺ أفرأيت الحمو؟ قال: **الحمو الموت**»[١].

ذلك أن الخوف منه أكثر من غيره. والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي

فكيف بالخلوة مع السائق والخادم؟ وما الحجة التي تلقى ربها بها تلك التي تخلو بهم عاصية أمر الله تعالى؟

وما موقف زوجها أو محرمها إذا سئل عما فرط به في حق أهله؟ إن أي عمل مهما كان ليس بأولى من صيانة الأسرة عن الوقوع في الحرام.

فهذا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يجعل مرافقة الرجل لامرأته في الحج أولى من الذهاب للجهاد رغم فضائل الجهاد:

«عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم**. فقال رجل: يا رسول الله، إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا، وامرأتي تريد الحج؟ فقال: **اخرج معها**»[٢].

إن من القواعد الشرعية: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح أما أن يحتج الرجل بانشغاله الدائم، وأعماله المتراكمة، ويرى أن ذلك عذر يجعل وجود السائق عنده ضرورة، حتى لمرافقة زوجته أو بناته،

---

(١) شرح صحيح مسلم جـ١٤/١٥٣.
(٢) فتح الباري جـ ٤/٤٤٤.

فأي شرعية لهذا العمل؟ إن أي انشغال مهما كان لا يبيح الحرام. هذا من ناحية الرجل.

أما المرأة فأقول لها: إن أي فضل في أية زيارة أو عمل- لفضل الهدف منها - ليس ضرورة تبيح الخلوة بالسائق. فإما أن يتفرغ المحرم لمرافقة أهله خشية خلوتهم بالأجانب. وإما أن تمتنع المرأة عن خروجها ذاك فالمحرمات لا يجوز الإقدام عليها مطلقاً. وأما الطاعة فهي بقدر الاستطاعة ففي حديث الرسول الله ﷺ:

«فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه - وإذا أمرتكم بالأمر فأتوا منه ما استطعتم»(١).

أما إن سارت في طريقها حيث لا سفر ولا خلوة فهو السير المهذب الذي يحفظ عليها دينها وسمعتها. ولا يعرضها إلى المنزلقات الخطيرة وظن السوء بها.

إنها تحرص على الأدب الذي حرص الرسول ﷺ أن يعلمها إياه بقوله:

«ليس لكن أن تحقُقْنَ الطريق، عليكن بحافات الطريق»(٢) وما ذاك إلا لتبعد عن الاختلاط، وتحتاط في الستر.

... وهكذا فالإسلام يعتمد على الوقاية لإقامة مجتمعه النظيف ويبعد دوافع الفتنة سداً لذرائع الشر. ألزم المرأة إذا خرجت استئذان الزوج، ومرافقته أو مرافقة ذي محرم لها في السفر. وضرورة أمن الفتنة

---

(١) رواه البخاري باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ.

(٢) اخرجه ابو داود.

وعدم الاختلاط والخلوة بالأجانب»[١].

---

(١) إن مشكلة السائقين أصبح الناس يتساهلون بها فصار هؤلاء الغرباء يخرجون بالنساء وكأنهم محارم لهن!؟ يصفقون معهن في الأسواق، ويتجولون بهن في السيارات للزيارات أو لغيرها. ولا ضرورة لذلك.
إن المحذور واقع، والفتنة مُحدقة، والبلاء بدأ يعم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

آداب الزيارة في المنزل المستقبل

هنالك آداب إسلامية: منها ما يخص صاحبة المنزل كالضيافة والبشاشة وحسن الإستقبال.

ومنها ما يخص المرأة الزائرة كالاستئذان ومنها ما يخصها معاً، كالمصافحة والأحاديث الهادفة، والبعد عن الأحاديث المحرمة.

١ - الإستئذان:

«لقد جعل الله البيوت سكنا يفيء إليها الناس، فتسكن أرواحهم وتطمئن نفوسهم ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب.

والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً آمناً لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم، وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس.

من أجل هذا وذلك أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالي - أدب الاستئذان - على البيوت والسلام على أهلها لإيناسهم وإزالة الوحشة عنهم».

قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلو بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾.

فالاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التي تجعل منها مثابة وسكنا، ويوفر على أهلها الحرج من المفاجأة والضيق بالمباغتة والتأذي بانكشاف العورات، وهي عورات كثيرة غير ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر هذه اللفظة. إنها ليست عورات البدن وحدها. إنما تضاف إليها عورات الطعام وعورات اللباس وعورات الأثاث التي قد لا يحب أهلها

أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجمل وإعداد. وهي عورات المشاعر والحالات النفسية. فكم منا يحب أن لا يراه الناس وهو في حالة ضعف يبكي لانفعال مؤثر، أو يغضب لشأن مثير، أو يتوجع لألم يخفيه عن الغرباء؟! «ونحن اليوم مسلمون ولكننا نطرق إخواننا في أية لحظة، في موعد الطعام فإن لم يقدم لنا الطعام وجدنا في أنفسنا من ذلك شيئاً. ونطرقهم في الليل المتأخر فإن لم يدعونا إلى المبيت عندهم وجدنا في أنفسنا من ذلك شيئاً، دون أن نقدر أعذارهم في هذا وذاك... ونرى غيرنا ممن لم يعتنقوا الإسلام يحافظون على تقاليد في سلوكهم تشبه ما جاء به ديننا ليكون أدباً لنا في النفس وتقليداً من تقاليدنا في السلوك. فيعجبنا ما نراهم عليه أحياناً ونتندر به أحياناً ولا نحاول أن نعرف ديننا الأصيل فنفيء إليه مطمئنين»[1].

والاستئذان يكون بالسلام وصيغته: السلام عليكم ورحمة الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: لما خلق الله تعالى آدم قال: **«اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع لما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم - فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزاده ورحمة الله»**[2].

فقولي لمن تحييك بتحية الجاهلية أو تلك التي تقلد الأعاجم فتعوج لسانها لتحي مثلهم: قد أبدلنا الله خيراً منها.

إنه سلام جبريل عليه السلام على السيدة عائشة رضي الله عنها عندما قال لها الرسول ﷺ: **«يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام.** فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته[3] وهو سلام أهل الجنة..

---

(١) الظلال م ٢٥٠٧/٤ - ٢٥١٠/بإيجاز.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) عون الباري ١١٤/٤.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[1].

ترحاب الملائكة لأهل دار الخلود ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[2] حتى أهل الذمة فلا يدخل عليهم إلا بعد استئذان.

عن سعيد بن جبير قال: «لا تدخل على أهل الكتاب إلا بإذن».

ويقال لهم: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[3].

ذلك أن الدخول دون استئذان فيه مباغتة ومفاجأة للمدخول عليهم والإسلام يأبى لأتباعه أن يؤذوا أحداً أو يسيئوا لمشاعره كما وأن المستأذن إذا قيل له: من أنت؟ فيقول: فلان بن فلان أو يذكر كنيته ولقبه، ولا يقول أنا. كما قال جبريل للملائكة لما استفتح باب السماء فسألوه من؟ فقال: جبريل. واستمر ذلك في كل سماء ولما استأذنت أم هانيء قال لها: من هذه؟ قالت أم هانيء فلم يكره ذكرها للكنية»[4].

وحبذا لو كان الإستئذان قبل الزيارة، ولا سيما وقد قرب الهاتف البعيد، فتضمن المرأة وجود ربة البيت وتعلم مدى انشغال أختها المسلمة إن كانت مشغولة. وإلا فيكون الخبر فرصة تتأهب بها لاستقبالها.

ويحسن أن يكون الموعد مناسباً لا هو في وقت القيلولة وقت الراحة، ولا يلهي عن عبادة وفضيلة كسهرات رمضان.

ولا يشغل المنزل فيضطرب نظامه في وقت أحوج ما تكون الأسرة إلى نظام وانضباط،.كالزيارة أيام امتحان المدارس لمن عندها أبناء في المدارس.

---

(١) سورة الاحزاب آية ٤٤.
(٢) سورة الزمر، آية ٧٣.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٥٩٩/٨.
(٤) زاد المعاد جـ٢/٢٨.

وعند الانشغال نقبل العذر ونقدر ظروف الأخريات، فلا ننزعج لذلك، فهو أدب علمنا إياه الإسلام. ﴿فإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ نحترم الموعد فلا نبكر فنحرج أصحاب المنزل ولا نتأخر فنخلف الموعد فإن ذلك العمل من صفات المنافق الذي «إذا وعد أخلف» فحذار وحاشا أن ينطبق علينا وصف المنافقين.

أما الزيارات المفاجئة دون موعد مسبق فهي أجدر بتحري الوقت المناسب حرصاً على عدم إحراج الآخرين وإيذاء مشاعرهم.

ولا نطيل في دق الجرس أو قرع الباب فالحد الأكثر ثلاث مرات قال صلى الله عليه وسلم: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**»[١] وقال تعالى:

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ﴾[٢].

فحظر الدخول إلا بإذن فدل على أن الإذن مشروط في إباحة الدخول كما في الآية.

وأيضاً فقد قال النبي ﷺ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل النظر**» فدل على أنه لا يجوز النظر في دار أحد الا بإذنه...[٣].

وعليه فلو أذن لنا بدخول المنزل، فلا يحل لنا فتح الغرف المغلقة أو العبث بها لأن هذا ينافي الذوق الإسلامي والأدب الذي علمنا إياه، كما وأنه لا بد للمرأة المضيفة من استئذان الزوج في دخول أحد إلى البيت، أما إن علمت رضاه مسبقا أو كان معها إذن متحقق منه فلها ذلك. لحديث رسول الله ﷺ: «**ولا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه**»[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢) سورة النور، آية ٢٨.

(٣) أحكام القرآن ٣/٣١٣ للجصاص.

(٤) شرح صحيح مسلم ٧/١١٥.

٢ - المصافحة والتقبيل والانحناء:

يستحب مصافحة الرجل الرجل، والمرأة المرأة. قال البغوي رحمه الله: وتكره المعانقة والتقبيل إلا تقبيل الولد شفقة. وقال أبو عبدالله الزبيري: لا بأس أن يقبل الرجل رأس الرجل وما بين عينيه عند قدومه من سفر، أو تباعد لقائه ويكره حني الظهر في كل حال لكل أحد »[١].

وتقبيل الأبناء والآباء رحمة وضعها الله تعالى في قلوب المؤمنين، وهو من هدي الأنبياء. ففي قصة إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام لما قدم إلى مكة: « فلما رآه إسماعيل قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد. والولد بالوالد من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد... الحديث »[٢].

« وكذلك ما أخرجه البخاري في الأدب عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلاماً ولا حديثاً ولا جلسة من فاطمة رضي الله عنها قالت:

وكان النبي ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها، ثم أخذ بيدها حتى يجلسها في مكانه. وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به ثم قامت إليه فقبلته »[٣].

وكذلك ما ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها: « لما قدم جعفر وأصحابه تلقاه النبي ﷺ فقبل ما بين عينيه واعتنقه »[٤].

ما يدل على أن رسول الله ﷺ كان يعتنق القادم من سفره ويقبله إذا كان من أهله.

---

(١) روضة الطالبين ٢٨/٧.

(٢) عون الباري ٦١٠/٤.

(٣) حياة الصحابة ٤٩٩/٢.

(٤) زاد المعاد ٣٣/٢.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا وإذا قدموا من سفر تعانقوا» قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط. ورجاله رجال الصحيح[١].

فالسنة التعبير عن الترحاب بالمصافحة. أما المعانقة والتقبيل فهي عند القدوم من السفر فحسب. وعند تباعد اللقاء أو للأولاد رحمة بهم.

وليس من السنة ما جرى عليه العرف بين النساء من التقبيل عند اللقاء والوداع بغير سبب ذي بال. بل يعتبر التقبيل عند البعض آكد من السلام، فيسارعن إليه ويكتفين به مستهينات بتحية الإسلام؟! وفي ذلك ما فيه من ترك مندوب حث عليه الشرع واستبداله بعمل قد نؤاخذ عليه.

أما مصافحة المرأة للرجل - إذا لم يكن زوجاً أو ذا محرم - فهي محرمة.. فهذا أسوتنا الرسول الكريم ﷺ قيل له في بيعة العقبة: «هاتان امرأتان حضرتا يبايعنك. فقال: قد بايعتها على ما بايعتكم عليه إني لا أصافح النساء»[٢].

فإذا كان خير خلق الله لا يصافح الصحابيات وهن في خير القرون، فما بال رجال ونسوة في عصر كثر فيه الشر وأهله، وفسد الناس، جعلوا المصافحة ديدنهم، محتجين أن قلوبهم نقية ونفوسهم تقية؟! فأيهم أزكى نفسا وأطهر قلبا، وأصفى روحا وأرقى مشاعر، أهذا الغثاء اللاهي أم تلك النفوس الكبيرة التي ارتقى بها الإسلام وسما بها الدين؟ أتساءل ولعلك تتساءلين معي: أهذا الغثاء أنظف مشاعر من ذلك الجيل وقائده العظيم؟! فضلا عن أن الرسول ﷺ حذر من مس النساء، فقال: «لئن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٥٢٨/٢.
(٢) الإصابة ٤٥٧/٤.

تحل له »[1].. والمخيط ما يخاط به كالإبرة والمسلة ونحوهما...

فمصافحة الرجل للمرأة حرام ولا شك فيه، ولا تقدم عليه من تخشى يوما تزيغ فيه الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر.

فلنراقب الله في أقوالنا وأعمالنا. ولا نتعمد المعاصي فنودي بأيدينا إلى التهلكة.

نتحسس خطى الرسول ﷺ فنتبعها ولا نبتدع خلافها فطريقه وحدها طريق السلامة. حتى في تصرفاتنا العادية. فتحية الإسلام تتبعها المصافحة من المرأة للمرأة ومعانقتها عند قدومها من السفر أو عند تباعد اللقاء تعبيراً عن المودة والمشاعر الطيبة مع الاعتدال في هذا التعبير. فلا انحناء ظهر يشبه سجود العجم، مع الحرص على عدم مصافحة الرجال الأجانب. فذلك هدي رسولنا الكريم الذي علمنا إياه، وفيه كل الغنى عما سواه.

٣ - حسن الاستقبال والبشاشة وإظهار المودة:

فاللقاء الودود والوجه المنبسط ينميان المشاعر الحية والرغبة في التعاون على الخير. لذا جعل من المعروف اللقيا الباسمة للمؤمنين.

قال رسول الله ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق »**[2].

فالكلمة الطيبة والوجه الباش واللقاء الحسن تعدل أضعاف أضعاف لقاء جاف جلف، ولو تبعته خراف مذبوحة وضيافة مكلفة.

لذا يجب أن يكون أسلوب المرأة مهذبا رقيقا ينم عن احترام للآخرين والتزام بأدب الإسلام.

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي.. انظر الترغيب والترهيب ٣٩/٣.

(٢) رواه مسلم.

ورقيق الكلام لا يعني الإطراء والمبالغة في المدح، فذلك منهي عنه إذ أن الرسول ﷺ سمع رجلا يثني على رجل ويطريه في المدح فقال: «لقد أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل»

وذكر عنده رجل، فقال رجل: يا رسول الله ما من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل منه في كذا وكذا. فقال النبي ﷺ: **ويحك قطعت عنق صاحبك مراراً يقول ذلك**»[1].

فالإسلام دين التوازن والاعتدال في كل شيء. فكما أنّه لا مبالغة في المدح والإطراء، كذلك لا نستهين بالترحاب والثناء المعتدل، فقد قال الرسول ﷺ لوفد عبد القيس: من الوفد؟ قالوا: ربيعة. قال مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى.. وفيه: وقال للأشج - أشج عبد القيس: إن فيك لخصلتين يحبها الله ورسوله: الحلم والأناة»... رواه مسلم.

ويعلق النووي على الحديث: فيه استحباب قول الرجل لزواره مرحبا ونحوه، والثناء عليهم إيناساً لهم وبسطاً، وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب ونحوه، وأما استحبابه فيختلف بحسب الأحوال والأشخاص وأما النهي عن المدح في الوجه فهو في حق من يخاف عليه الفتنة.

وقد مدح النبي ﷺ في مواضع كثيرة في الوجه فقال لأبي بكر رضي الله عنه: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[2] بل من السنة إذا أحب المرء أخاه المسلم أن يخبره أنه يحبه فذلك أدعى للمودة.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/١٢٧.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١/١٩٥.

عن أنس رضي الله عنه: كان رجل عند النبي ﷺ فمر رجل فقال: يا رسول الله إني أحب هذا، قال: أعلمته؟ فقال: لا قال: فأعلمه. فلحقه فقال: إني أحبك. فقال: أحبك الله الذي أحببتني فيه »[1].

وهكذا نهش عند اللقاء فهذا خير إكرام للضيفة. ونظهر المودة من غير إسراف في المدح نضمن تأسينا برسولنا الكريم واتباعنا لأثره في معاملته لضيوفه.

٤ - الضيافة:

إكرام الضيف من مستلزمات الإيمان الحق والتي بينها رسول الله ﷺ بقوله: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »[2].

(يستحب الترحيب بالضيف وحمد الله تعالى على حصوله ضيفا عنده وسروره به وثناؤه عليه لجعله أهلاً لتضييفه)[3].

قال ابن حزم في المحلى:

« الضيافة فرض على البدوي والحضري والفقيه والجاهل يوم وليلة مبرة واتحاف، ثم ثلاثة أيام ضيافة ولا مزيد »[4].

وقد جاء في الحديث: « الضيافة ثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه.

قالوا: يا رسول الله وكيف يؤثمه؟. قال: « يقيم عنده ولا شيء له يقريه به »[5].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

(٢) أخرجه البخاري في باب حفظ اللسان.

(٣) روضة الطالبين ٣٤٢/٧.

(٤) المحلى لابن حزم جـ ١٧٤/٩.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٣١/١١.

«وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام.

ثم قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله تعالى والجمهور: هي سنة ليست بواجبة. وقال الليث وأحمد: هي واجبة يوماً وليلة. وقال أحمد رضي الله عنه: هي واجبة يوماً وليلة على أهل البادية وأهل القرى دون أهل المدن «حيث في الحضر الفنادق وما يشترى من الأكل في الأسواق».

وتأول الجمهور الأحاديث على الاستحباب ومكارم الأخلاق ففي اليوم الأول يهتم به ويتحفه وفي اليوم الثاني والثالث يطعمه ما يتيسر مما اعتاده. وبعدها له الخيار في ضيافته أو عدمها.

كما ويرشد إلى عدم طول المقام من غير استدعاء المضيف وطلب إقامته حتى لا يوقعه في الإثم من غيبة لطول المقام.

وقد كان الرسول ﷺ يزور أم سليم فتتحفه بالشيء تصنعه له (ولم يكن يدخل بيتا غير بيت أم سليم إلا على أزواجه فقيل له. فقال: إني أرحمها قتل أخوها وأبوها معي)[1].

فالإسلام دين التكافل الاجتماعي والتعاون بين أبنائه أكد على الضيافة واعتبرها من دلائل الإيمان، واعتبرها حقا شرعيا للضيف وبالمقابل فالضيف عليه ألا يطيل المكث في بيت مضيفه بغير داع فيحرجه ويؤثمه. والضيافة تلزم ابتداء لا مكافأة.

إذ لو قصد الآخر ولم يضف صاحبه ثم ضافه فليكرمه.

عن أبي الأحوص الجشمي عن أبيه قال:

قلت يا رسول الله: أرأيت إن مررت برجل فلم يقرني ولم يضيفني ثم

---

(١) الإصابة جـ ٤٤٢/٤.

من بي بعد ذلك، أأقريه أم أجزيه؟ قال: «بل أقره»[١].

فهذا هو الجود الحق والكرم الأصيل، والمتأمل في تعاليم الإسلام يجد الدعوات المتتابعة إلى الانفاق والبعد عن الشح.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

والوعد بالرزق للأسخياء، فيخلف الله تعالى ما ينفقون ويعوضهم عنه: يقول جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[٣].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[٤].

صور من إكرام الضيف وإيثاره:

وقد فهم المسلمون الأوائل هذه الفضائل الكريمة وتمثلوها في قلوبهم، وامتثلوها في سلوكهم. فارتفعوا بأنفسهم عن الأنانية البغيضة والأثرة المقيتة. فكانوا خير قدوة لمن يريد أن يلحق بهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء. ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك. حتى قلن كلهن مثل ذلك ما عندي إلا ماء ثم

---

(٢) رواه الترمذي مشكاة المصابيح المجلد الثاني /١٢٢٦.
(٢) سورة الحشر، آية ٩.
(٣) سورة سبأ، آية ٣٩.
(٤) رواه مسلم. شرح صحيح مسلم جـ ١٣/١٤.

أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك. حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء.

فقال: **من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟**

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني قال: فعلليهم بشيء فإذا أرادوا العشاء فنوميهم. فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل..

فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال: **قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما**[1].

زاد في رواية فنزلت هذه الآية: **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾** بمثل هذا الإيثار ارتقوا فسادوا الدنيا ودانت لهم البشرية وكانوا أفضل أمة جاد بها الزمان.

أما حين تخلى المسلمون عن المكارم التي يدعو لها دينهم، وحلّ حظ النفس وحب الذات محل فضيلة الإيثار. فانقطعت روابط المودة بينهم وتبعثر الناس. وصاروا لا يلتقون إلا على مصلحة أرضية هابطة لا تغني شيئاً ولا تنفع حتى صاحبها.

فهم يبكون على الوداد الضائع في ظل الأثرة والأنانية.

لقد كانت المرأة معينا لزوجها في البذل والكرم والإنفاق في سبيل الله «أتى أبو الدحداح امرأته وهي في حائط (بستان) له فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة!».

فتمتثل وتقول: ربح البيع..![2].

---

(١) رواه مسلم. شرح صحيح مسلم جـ ١٣/١٤.

(٢) الإصابة ٦٠/٤.

ليتنا نجد بين نسائنا من تقتدي بأم الدحداح في عصرنا الذي شحت فيه النفوس فيَجُدْن بالغالي والرخيص ما دام ذلك في مرضاة الله ولنصرة دينه.

وهذه أم سنان الأسلمية رضي الله عنها تحدثنا عن الصحابيات يوم تبوك (غزوة العسرة).

«لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها فيه مُسك ومعاضد وخلاخيل وأقرطة وخواتيم، وقد ملىء مما بعث من النساء يُعِنَّ به المسلمين في جهازهم»[1].

فالمال مال الله استخلفنا فيه لننفقه كما يحب جل وعلا وليكون في خدمتنا لا أن يكون المرء مستعبداً لماله.

«عن مجاهد قال: اجعل مالك جُنة دون دينك ولا تجعل دينك جنة دون مالك»[2].

ولنقتد برسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه في جوده وسخائه.

«كان سروره وفرحه بما يعطيه أكبر من سرور الأخذ. وكان أجود الناس بالخير. يمينه كالريح المرسلة. وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه، تارة بطعامه وتارة بلباسه، وكان يتنوع في أصناف عطائه فتارة بالهبة وتارة بالصدقة وتارة بالهدية وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعاً.

ويقبل الهدية ويكافىء عليها بأكثر منها أو بأضعافها تلطفاً وتنوعاً

---

(١) حياة الصحابة ٤٢١/١: مسك أسورة وخلاخيل. المعاضد: جمع معضد وهو الدبلج خلاخل: جمع خلخال: حلية تلبس في الرجل كالسوار في اليد. الأقرطة: ما تعلق في شحمة الأذن.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٥٨٥/٦.

في ضروب الصدقة والإحسان»[1].

وعلى هديه سارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

عن أم درة - خادمة عائشة رضي الله عنها - قالت: أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها، وهي يومئذٍ صائمة. فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه. فقالت: لو كنت ذكرتني لفعلت[2].

كرم أصيل أنساها ذكر حاجتها للطعام وهي الصائمة التي تنتظر ساعة الغروب للإفطار.. لا أشبع الله بطون الشحيحات.

الاعتدال في الضيافة:

هذا الإيثار والكرم لا يعني أن نتكلف فوق طاقتنا ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3].فلا تحتقر المسلمة ما في بيتها أن تقدمه لإخواتها.

عن عبد الله بن عميرة قال: دخل علي جابر رضي الله عنه في نفر من أصحاب الرسول ﷺ. فقدم إليهم خبزاً وخلاً فقال: كلوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم الإدام الخل».

إنه هلاك بالرجل أن يدخل إليه النفر من إخوانه فيحتقر ما في بيته أن يقدمه إليهم. وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم[4].

فلتجد المرأة بما عندها ولا تتكلف ما يشق عليها ويرهقها، فكما أنه ليس من الإسلام أن يتثاقل المرء من ضيفه لئلا يشاركه في طعامه وشرابه وتشح نفسه بما رزقه الله أن يقدمه إليه.

---

(١) زاد المعاد ١٥٢/١.

(٢) الإصابة ٣٥٠/٤.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٨٦.

(٤) رواه الطبراني وأحمد - ينظر الترغيب والترهيب جـ ٣٧٤/٣.

كذلك ليس من الإسلام ما نلمسه من الإسراف في الضيافة بحيث يتجاوز ما يقدم للضيف عن حاجته وحاجة أهل البيت وربما عن حاجة أهل الحي. فيلقي ما يلقي من الطعام في القمامة... ليزيد عن حاجة قطط وكلاب الحي المتخمة... ويصم الكثيرون آذانهم عن أنباء من لا يجد ما يسد رمقه من إخوانه المسلمين. ومن يموتون وهم يتضورون جوعاً من أبناء وبنات المسلمين.

ولو وزنا هذا العمل بميزان الشرع: لحجر على أمثال هؤلاء في تصرفاتهم المالية لإضاعتهم مال الله الذي استخلفهم فيه.

فالمسلم مقيد بين الإسراف والتقتير. فالمسرف يترف نفسه ويضر المجتمع والمقتر لا ينتفع بماله كما يريد من وهبه المال.

قال تعالى في وصفه لعباد الرحمن:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾(١)

والإسراف فيما تقدمه بعض النسوة من صنوف الأطعمة والمشروبات، على موائد الضيافة أمر يلفت النظر، وصار يثقل عبء الأزواج، وليس الأمر كرماً بقدر ما هو تقليد وعرف، وخوف من القيل والاتهام بالبخل والشح.

وكذلك من الملاحظ أن كثيراً من الأسر تقدم السجاير للضيوف كأساس من أساسيات الضيافة والتي أقل ما يقال فيها أنها مكروهة. فالضيافة لا تكون إلا في الحلال الطيب لا المحرم ولا المكروه(٢).

---

(١) سورة الفرقان، آية ٦٧.

(٢) تستحضرني في هذه المناسبة صورة إحدى الأمهات تؤنب ابنتها وتصفها بالإهمال وعدم الملاحظة والذوق. لأن فلانة من الناس تدخن ولم تقدم لها السجاير ضيافة لها. فكيف تفتح علبة سجايرها وتخرج منها حاجتها».
فأين أمثال هذه من التفريق بين الكرم الحق وعدمه. والمعيب من العمل عن غيره.

■ - الأحاديث الهادفة في الزيارة (للدلالة على الخير والإصلاح بين الناس)

إن المؤمنة حينما جالست غيرها تحرص على أن لا تقذف بكلامها دون تمحيص، فهي تسعى لتكون أقوالها فضلاً عن أفعالها في ميزان حسناتها.

لذا تتواصى مع أخواتها المؤمنات بكل ما فيه خير وصلاح. تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وإن لمست نفوراً وشقاقاً بين البعض منهن فهي تعمل على إصلاح ذات البين وإطفاء نار العداوة تتمثل بقوله تعالى:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[1].

والمتأمل في هذه الآية يجد أن غالبية النجوى لا خير فيها إلا هذه الثلاث:

١ - الأمر بالصدقة.
٢ - الأمر بالمعروف. ونجمعها تحت عنوان الدلالة على الخير.
٣ - الإصلاح بين الناس.

ومن تكلم بها أو بأحدها فهو في قربة إلى الله تعالى، بل وكلامه من أفضل الذكر فقد قال ابن تيمية رحمه الله:

«إن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، فهو من ذكر الله ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض. أو جلس مجلساً يتفقه

---

(١) سورة النساء، آية ١١٤.

أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله »[1].

١ - الدلالة على الخير:

فإذا رزقك الله فهماً وعلماً أو قوة وعافية فاستخدمها لمعاونة المسلمين وتسهيل حاجاتهم سواء بعملها بيدك أو بتعليمها غيرك.. فما ذلك إلا زكاة الصحة التي حباك الله إياها.

« «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس. تعدل بين الاثنين صدقة. وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة. والكلمة الطيبة صدقة. وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة. وتميط الأذى عن الطريق صدقة »[2].

إن كثيراً من بلادنا المسلمة مليئة بالأزمات الاقتصادية بسبب القحط أو الحروب. وتنشط المؤسسات التبشيرية والشيوعية للاستفادة من تقصيرنا جميعاً. فتستغل آلام المكلومين لتقدم لهم الغذاء واللباس والدواء طعماً تجذبهم به لمصيدتها. وتعمل جاهدة بكل الوسائل لجلبهم لساحتها، بتربية أبنائهم أو تعليمهم أو تطبيبهم...

فهلا استفدنا من زياراتنا ووقتنا الضائع؟! فتدارسنا أحوال أمتنا وعلمنا بعضنا أن نخيط الثياب التي تستر عورات أخواتنا المسلمات المحتاجات.

ولنصنع من االطعام ما يمكن أن يرسل لهن. ولنثبت أننا المسلمات اللاتي يهمهن أمر الأمة المسلمة. لا الدمى المتحركة التي تُزين لتلهي من

---

(١) الفتاوى /جـ ١/٦٦١.

(٢) رواه البخاري في العلم ومسلم في الزكاة وأبو داوود.

حولها وتبعد عن جادة الصواب... فهل االنصرانيات أقدر منا؟؟ أم أنهن أكثر تضحية وإيمانا؟ نحن - حفيدات عائشة وخديجة وأسماء - أولسنا أجدر أن نضحي من أجل حقنا الأكيد أكثر من تضحيتهن من أجل باطلهن؟

ويتامى المسلمين؟! مَنْ ينجينا من الإثم إذ يُحملون إلى البلاد الشيوعية أو النصرانية ليربوهم على دينهم؟

ماذا نقول غداً لرب العالمين إن سألنا عنهم وعن تفريطنا وتقصيرنا في حقهم؟

أفلا يجدر بنا أن نتكفلهم؟ وماذا لو ضمت الأسرة إليها فرداً أو اثنين لتنشئتهم (لا تبنيهم فهو محرم) وتربيتهم؟

أو إن عملت الجمعيات الخيرية المسلمة لرعايتهم، وساهمت المرأة المسلمة بما تستطيع سواء بالمادة أو بالجهد الذي تقدر عليه - من عمل يدوي أو تعليمي أو توجيهي -؟!

قد يقال: إن هذه أعمال ضخمة لا تقدر عليها جهود فردية قليلة المورد والله تعالى يقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(1).

فهذه الفكرة إن اقتنعت وإياي بها وأقنعت في زياراتك صديقتك المؤمنة وجارتك المسلمة لا بد وأن نحقق خيراً كثيراً للمسلمين ونكون قد ساهمنا حقاً في إنجاح صحوتنا المباركة.

ولا شك أن ذلك مطلب شرعي بدلاً من أن تظل المسلمة مجال تنافس الدول لتلهيها عن رسالتها بمستحضرات التجميل، وأدوات الترهل والترفيه.

---

(1) سورة الرعد، آية ١١.

وبذلك نكون قد ارتقينا بزياراتنا عن اللغو إلى التناصح لما فيه خيرنا وخير المسلمين. وفي عملك ذلك أجر الصدقة.

نفع المسلمين من أفضل القربات:

«عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله». قال: قلت: ثم أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها ثمناً عند أهلها وأكثرها نفعاً». قال: قلت فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعاً أو تصنع لأخرق»[1].

فلك في معاونتك لأختك المسلمة أياً كانت تلك المعاونة الثواب الجزيل فعملك من أفضل القربات.

فإن كانت مريضة قد أعجزها المرض عن أداء مهمتها تساعدينها في تعليم أولادها الصغار، أو عمل طعام لهم. أو ترتيب بيتها وتنسيقه بدل أن تكون زيارتها للكلام والتسلية فحسب.

وإن كانت نفساء أمضها ألم الولادة: تقومين على رعايتها ورعاية وليدها. فهذا أجر قد ساقه الله إليك ولا تقدر عليه غيرك وإن كانت جاهلة بفنون المنزل أو حتى في التعامل الاجتماعي تعلمينها وتنصحينها فالدين النصيحة، ولك في كل ذلك أجر الصدقة بل إن بعض العلماء رأى أن العمل على جلب المنفعة للمسلمين من أجل العبادات فقد تعرض ابن القيم رحمه الله لمختلف الأراء في أفضل العبادات ومنهم:

«رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها: ما كان فيه نفع متعد، فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر. فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح

---

(١) شرح صحيح مسلم جـ ٧٣/٢.

الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل، فتصدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي ﷺ: «**الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله**» رواه أبو يعلى.

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد إلى الغير، وأين أحدهما من الآخر؟ قالوا: ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

... واحتجوا أن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي سعى إليه.

... واحتجوا بأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم ولم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهب ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد، وترك مخالطة الناس»[1] ولنذكر معاً حديث الرسول ﷺ:

«**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»[2].

فلنكن في حاجة أخواتنا المسلمات والله معنا في قضاء حاجاتنا وتفريج كرباتنا. وأينا تستغني بنفسها عن غيرها؟!

وإن استغنت الواحدة عن غيرها بأعمالها، فلا بد أن تحتاج إلى التناصح والمشاورة معهن.

---

(١) مدارج السالكين - ابن القيم - جـ١/٩٩-١٠٠.

(٢) رواه البخاري في المظالم ومسلم في البر والصلة.

الزيارة مجال مناصحة لتربية الأولاد:

فما أجدرنا - نحن المسلمات الحريصات على حسن تنشئة أبنائنا ونراقب الله في تربيتهم - ما أجدرنا أن نستفيد من فترة زياراتنا للتناصح في تربيتهم وحل مشكلاتهم ليحل العمل والتوجيه محل الشكوى والأسى الذي لا يصحح خطأً ولا يغير واقعاً.

فإن أقلقنا أن نجد بعضاً من أبناء المسلمين يفوتهم الفكر الديني الواعي أو لا يلتزم آخرون بالتعاليم الشرعية، أو لا يجيد الكثير منهم التعامل مع الآخرين....

فعلينا نحن المسلمات أن نسعى إلى تصحيح هذا الواقع المرير بكل ما نستطيع وبصبر وجلد.

ذلك أن التربية ليست أن نلقي الكلمة والتوجيه على أبنائنا ثم ننتظر الاستجابة. فالمغريات كثيرة لا تنتهي.... والتربية طويلة وشاقة تبدأ من نعومة أظفارهم.

فلا بد من الرعاية الدؤوب لهم دون ملل. نتابعهم باستمرار في جدهم وهزلهم. لعبهم ومذاكرتهم.

وبعد أن نعمل جهدنا لنكون القدوة الحسنة لهم في كل خلق فاضل كريم نتناصح مع أخواتنا المؤمنات في حسن اختيار القصص المفيدة التي تثقف الطفل وتعده لحياته المستقبلية وتربي وجدانه فيعرف كيف يعطي كل ذي حق حقه. ونبعده عن القصص الخرافية والبوليسية وكذلك عن البرامج الإعلامية التي لا تليق.

ونسعى بالتشاور مع بعضنا لنحيط أبناءنا بالصحبة الطيبة التي تعينهم على الخير. فالشر كالداء المعدي، سرعان ما ينتشر بالمخالطة. فنبعدهم عنه لنحفظ عليهم دينهم وخلقهم.

وهكذا نشحذ هممنا لتكون زياراتنا هادفة لما فيه نفع المسلمين ويرضي الله تعالى:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله. أي الناس أحب إلى الله؟ فقال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس. وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على قلب مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة شهراً) ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى».

ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام»[1] رواه الأصبهاني واللفظ له. ورواه ابن أبي الدنيا.

فلنحرص على نفع المسلمات وإدخال المسرة على قلوبهن ولا نبخل بنعمة حبانا الله إياها أن نخدم بها مسلمة فنفرج بها كربتها ونعمل ما فيه مصلحتها لئلا يذهب الله تعالى بتلك النعمة.

قال رسول الله ﷺ: «إن لله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يملوهم. فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم»[2].

الدلالة على الخير بالحكمة والموعظة الحسنة:

والمؤمنات متحابات بجلال الله، تحب كل منهن لغيرها ما تحبه لنفسها. فلا يفوتها أن تدعو غيرها إلى الخير الذي تريده لها وتنهاها عن المحرمات التي تمنع نفسها عنها قال تعالى:

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ٣٩٥/٣.

(٢) رواه الطبراني. ينظر الترغيب والترهيب جـ ٣٩٠/٣.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وقال صلى الله عليه وسلم:

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[2].

فصديق الإنسان ومحبّة هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه. وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه.

وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب الى تحصيل المطاوب.. وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه » انتهى .ولا تقول المسلمة مالي وللناس، فإني أدعهم وشأنهم ولا أتدخل في خصوصياتهم. نعم ذلك في أمور الدنيا المباحة التي يستوي فيها عملها وتركها ضمن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه.

أما ما فيه خطر محقق وحتى لو كان ذلك في أمور الدنيا، فالواجب النصح فالدين النصيحة.

إن المؤمنة عليها مهمة النصح والدعوة إلى دينها على قدر ما تستطيع،ومن روائع ما روته لنا السيرة، قصة الصحابية الجليلة أم سليم.

---

(١) سورة التوبة، آية ٧١.

(٢) شرح صحيح مسلم جـ ٢٥/٢ والتعليق شرح النووي.

كانت أم سليم أم أنس بن مالك من السابقات للإسلام من الأنصار خطبها أبو طلحة - قبل أن يسلم - وبعد وفاة زوجها فقالت:

يا أبا طلحة. ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده نبت من الأرض؟ قال: بلى. قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة؟.

إن أسلمت فإني لا أريد صداقاً غيره. قال: حتى أنظر في أمري.

فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقالت: يا أنس زوج ابا طلحة. فزوجها[١].

إنه مهر كريم لامرأة داعية كريمة، دعته إلى عبادة الله وحده والبعد عن الشرك به، فشرح الله صدره وآمن. فأكرم به من مهر. وما هلك بنو إسرائيل إلا لتركهم فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

«كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»[٢] أما اعتزال الناس لعدم صلاحهم فهو كما يقال: آخر الدواء الكي ذلك أننا «حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً أو أطيب منهم قلباً، أو أرحب منهم نفساً، أو أذكى منهم عقلاً لا نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً. لقد أخذنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة.

إن العظمة الحقيقية أن نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم. وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم ورفعهم إلى مستوانا بقدر ما نستطيع.

إنه ليس معنى هذا أن نتخلى عن آفاقنا العالية ومثلنا السامية أو أن نتملق هؤلاء الناس ونثني على رذائلهم أو أن نشعرهم أننا أعلى

---

(١) الإصابة جـ ٤٤٢/٤.

(٢) سورة المائدة، آية ٧٩.

منهم أفقاً. إن التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر لما يطلبه هذا التوفيق من جهد هو العظمة الحقيقية»[1] وهكذا فبعد أن تتعهد المسلمة نفسها بالإصلاح فتلتزم السنة وتعض عليها بالنواجذ، تساهم بالدعوة إلى الخير بين النساء. وهذا واجب ديني تأثم إن قصرت به، مهما كان مستواها الثقافي فتعمل بقدر طاقاتها وإمكانياتها، تأمر بالمعروف بلفظ لين وقول لطيف والله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2].

ترفق بمن حولها، توقر الكبيرة وترحم الصغيرة، ولا تنسى أنها صاحبة هدف جليل تسعى لتحقيقه باسلوب يرضي الله تعالى ويؤدي للنتيجة التي ترجوها.

فكما يسعى أصحاب الأهداف الدنيوية لتحقيق أهدافهم، فيتحسسون مداخل نفوس من يتعاملون معهم. ليعرفوا كيف الوصول لغايتهم. يجب أن نكون نحن المسلمات أكثر اهتماماً بمعرفة من ندعوهن لتكون دعوتنا كما أراد الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[3].

٢ - الإصلاح بين المؤمنات:

كما نجعل من زياراتنا مجالاً خصباً للإصلاح بين الناس. فإن عمل الشيطان على إثارة العداوة بين المسلمات نزيلها بالإصلاح بينهن. فإن إزالة الخصام دليل سمو النفس التي تعمل على إشاعة المودة بين

---

(١) أفراح الروح لسيد قطب.
(٢) سورة آل عمران، آية ١٥٩.
(٣) سورة النحل، آية ١٢٥.

الآخرين. ليحل الوفاق محل الشقاق. والصلة مكان القطيعة. لذا كانت درجة من يصلح بين الناس أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة - التطوع لا الواجبة -

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟** قالوا: بلى قال: **إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**».

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: **هي الحالقة: لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين.**

ذلك أن الإفساد بين الآخرين يؤدي إلى القطيعة التي حرمها الشرع كما جاء في الحديث الشريف: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذين يبدأ بالسلام**»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم منفراً من الشحناء والقطيعة ومبيناً سخط الله تعالى على المتقاطعين حتى يصطلحا:

«**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً. إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا ثلاثاً**»[2].

فإن حصلت جفوة بين المسلمات نسارع إلى الإصلاح بينهن للتغاضي عن هفوة المخطئة فإذا بالعيش صافياً بعد كدر والوداد عاد بعد الجفاء.

والواجب أن تقبل المسلمة عذر من تعتذر، لا أن تشيح بوجهها بعيداً عن أختها، إصراراً على مواصلة القطيعة، وعدم قبول العذر: إذ من شرار

(١-٢) شرح صحيح مسلم جـ ١١٧/١٦ - ١٢٢.

الناس من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة كما بين الرسول ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: إن شراركم الذي ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده.

أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله قال: من يبغض الناس ويبغضونه. قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله.

قال: الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغتفرون ذنباً. قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره»[1].

٦ - آداب ومجاملات إسلامية:

لقد شرع الإسلام آداباً تنظم للناس سلوكهم وتصرفاتهم، ولو تتبعنا تعاليمه، نجد أنه دين الأدب الجم، والذوق الرفيع، والسمو الحضاري الذي لا زيف فيه.

دعا إلى الطريقة المثلى في السلوك والمعاملة الكريمة للآخرين ولنا في رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم خير أسوة:

«كان، يتخير في خطابه ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها، وأبعدها عن ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش. فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً ولا فظاً. وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في

---

(١) رواه الطبراني وغيره ينظر الترغيب والترهيب جـ ٣٩٤/٣.

حق من ليس كذلك، وان يستعمل اللفظ المشين المكروه في حق من ليس من أهله »[١].

دقة في انتقاء الألفاظ، واختيار ما يناسب منها، والبعد عن الجافي الذي يمجه السمع وتأباه النفس.

كما ودعا إلى الرفق واللين في المعاملة فقد أوصى صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: « يا عائشة ارفقي فإن الرفق لم يكن في شيء إلا زانه. ولا نزع من شيء قط الا شانه »[٢] نعامل الناس كما نحب أن يعاملونا به فنتجنب بذلك كثيراً من العثرات. ونعود أنفسنا الطيب من القول والعمل فنكون من المفلحات ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[٣].

فلتحاسب كل منا نفسها قبل أن تُحاسَب. ولتزن أعمالها قبل أن توزن. ولتقدرها حسب طريقة ميسورة دلها عليها الإسلام: ألا وهي: أن نحب لأخواتنا ما نحب لأنفسنا.

قال البخاري في صحيحه قال عمار رضي الله عنه: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان:

الإنصاف من نفسك. وبذل السلام للعالم. والإنفاق من الإقتار، وقد تضمنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه: فإن الإنصاف يوجب أداء حقوق الله كاملة موفورة. وأداء حقوق الناس كذلك. وأن لا يطالبهم بما ليس له. ولا يحملهم فوق وسعهم ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به.

---

(١) زاد المعاد جـ٢/٩.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة جـ٨/٣٢٣.

(٣) سورة الشمس، آية ٩.

ويعفيهم مما يحب أن يعفوه منه. ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها »[١].

وقد حرصت دعيات الحضارة على اتباع نظام معين في تعاملهن يسمينه (اتيكيت) جعلنه شرعاً لهن يتبعنه ومن حادت عنه تستهجن وتستقبح.

أما نحن المسلمات فلنا في نهج نبينا صلى الله عليه وسلم الذي ما ينطق عن الهوى - لنا في نهجه غنية عما سواه. فإلى الآداب الإسلامية التي تلزمنا في زياراتنا.

من السنة التعارف:

فهي حكمة الخلق: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾[٢].

ولذلك يحسن تقديم المعارف إلى من لا تعرفهن، فذلك أدعى إلى تمتين الصلة وتجاذب أطراف الحديث. وإلا فلنسأل عن الاسم وما يلزم لإتمام المعرفة، ودوام الصلة:

قال صلى الله عليه وسلم: «**إذا آخى الرجل الرجل: فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فإنه أوصل للمودة**»[٣].

وبعدها تناديها بأحب أسمائها إليها:

قال صلى الله عليه وسلم: «**ثلاث يصفين لك ود أخيك. تسلم عليه**

---

(١) زاد المعاد جـ ٢٣/٢.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٣.

(٣) رواه الترمذي في الزهد.

إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه»[١].

إنها دعوة إلى مراعاة مشاعر المسلمة حتى في طريقة النداء فنناديها بما تحب من الأسماء بكنيتها باسم عائلتها، باسمها.. بلقبها الذي تحبه... لا كما يفعل بعض جفاة الناس قد يسمعون الاسم مرة ثانية وثالثة، وينسونه او يتناسونه ليقولوا: أنتِ يا هذه.. ونحو ذلك فهل نحب هذا الموقف لأنفسنا؟!.

وكذلك من السنة إذا أحب المسلم أخاه أن يخبره.

«عن أنس رضي الله عنه كان رجل عند النبي ﷺ فمر رجل فقال: يا رسول الله إني أحب هذا. قال: **أعلمته؟** قال: لا. قال: **فأعلمه**. فلحقته فقال: إني أحبك في الله فقال: أحبك الله الذي أحببتني فيه»[٢].

فالرد المسنون على من تخبرها أختها بحبها لها: «أحبك الله الذي أحببتني فيه».

وفي الجلوس:

ننزل الناس منازلهم لقوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**». نجلس حيث يجلسنا أهل البيت فهم أعلم بعورة بيتهم منا.

ولا يستحب القيام لمن دخل المجلس لما روى أنس رضي الله عنه:

«ما كان شخص أحب إليهم (الصحابة) من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك. إذ قال: «**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً**»[٣].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط: ينظر الترغيب والترهيب جـ ٤٢٥/٣.

(٢) رواه أبو داود في الأدب باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة جـ ٣٩٩/٨.

وبعدها يستحب التفسح والتوسع في المجلس قال تعالى:

﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[1].

كما ونهى الرسول ﷺ أن يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه بقوله: «لا يقيمن أحدكم أخاه ثم يجلس في مجلسه»[2] وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه. وإن كان في المجلس الواحد ثلاثة: لا تتناجى اثنتان دون الثالثة. مراعاة لمشاعرها فقد جاء في الحديث الشريف:

«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه»[3].

وهذا التوجيه الكريم يمثل قمة الحس المرهف والأدب الجم الذي يحرص الاسلام أن يربي أبناءه عليه، مراعاة لمشاعر الآخرين.

كما وأنه من الأدب: عدم الانفراد بالحديث إذ للأسف من صفات المرأة المعروفة حبها للإكثار من الحديث، وكأن قيمة المرأة كثرة حديثها، لا الفائدة المرجوة من الحديث.

والمتحدثة اللبقة هي من تدع لغيرها فرصة المشاركة في الحديث وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على إثارة الحوار مع الذين يخاطبهم، وهذا معروف في اسلوبه النبوي صلوات الله وسلامه عليه[4].

---

(١) سورة المجادلة، آية ١١.
(٢) شرح صحيح مسلم جـ١٤/١٦١.
(٣) أخرجه البخاري في الأدب ومسلم في السلام.
(٤) وذلك كسؤاله: أي يوم هذا؟ أتدرون من المفلس؟ أتدرون ما الغيبة؟.

وكما أحسنت الكلام، كذلك تحسن الاستماع فتقبل بوجهها على المتحدثة، فإن حصل الملل والتفتت المستمعة فلنختصر الحديث: عن الحسن رضي الله عنه قال: حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوههم فإذا التفتوا فاعلموا أن لهم حاجات »[1].

وفي طريقة الأكل المسنونة: (آداب المائدة).

« إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم، فإن ذلك يخجل جليسه فيقبض يده، وعسى أن يكون له في الطعام حاجة »[2].

« ومن الأدب أن يقول أولاً باسم الله، فإن نسي قال إذا تذكر باسم الله أوله وآخره، وأن يغسل يديه قبل الأكل وبعده.

ويكره أن يأكل متكئاً وأن يأكل مما يلي آكليه، وأن يأكل من وسط القصعة وأعلى الثريد ونحوه. ولا بأس بذلك في الفواكه. ويكره أن يعيب الطعام ويقرن بين تمرتين ونحوهما، وأن يأكل بشماله وأن يتنفس في الإناء وأن ينفخ فيه.

وإذا أكل جماعة، فمن الأدب أن يتحدثوا على طعامهم بما لا إثم فيه. ويكره أن يتمخط ويبصق في حال أكلهم إلا لضرورة.

ويكره أن يقرب من فيه إليها شيئاً، ويستحب لمن حضر وهو صائم ولم يأكل أن يدعو لأهل الطعام »[3].

ثم إنه يلقي نوى التمر وما شاكله خارج القصعة لئلا تتأذى النفوس.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة جـ ١٦١/١٤ أخرجه الدارمي.

(٢) رواه البيهقي وابن ماجة في شعب الإيمان مشكاة المصابيح الجلد الثاني ١٢٣١.

(٣) روضة الطالبين جـ ٣٤٠/٧ - ٣٤٢ باختصار.

ذلك أنه أتي الرسول ﷺ بتمر، فكان يأكل ويلقي النوى بين أصبعيه »[1].

« ومن آداب الطعام أن يقصد كل منهم الإيثار لرفيقه. ولا يحوج رفيقه إلى أن يقول له: كل، بل ينبسط ولا يتصنع بالانقباض:

ومن ذلك أن لا ينظر إلى أصحابه حالة الأكل لئلا يستحيوا.

ومن ذلك أن لا يفعل ما يستقذره من غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه، وإذا أخرج شيئاً من فيه ليرمي به، صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره »[2]:

وكان صلى الله عليه وسلم لا يعيب الطعام: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه »[3].

وكان يمدح الطعام أحياناً كقوله لما سأل أهله عن الإدام. فقالوا: ما عندنا إلا خل. فجعل يأكل منه ويقول: نعم الإدام الخل » تطييباً لقلب من قدمه، لا تفضيلا له عن غيره من الإدام، يحافظ على بركة الطعام فقد قال صلى الله عليه وسلم:

« إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة »[4].

هذا حيث كان الأكل سابقاً باليد وكذلك في كل حالة مشابهة. أما وقد تغيرت الأحوال. وألف الناس استعمال الشوكة والملعقة فهذه أولى أن تخلص من الطعام الذي عليها. فضلاً عن استعمالها حسب الأصول

---

(١) شرح صحيح مسلم جـ ٢٢٥/١٣.

(٢) مختصر منهاج القاصدين/ ص ٩٥/ ابن قدامة - دار الفيحاء ودار عمار.

(٣) عون الباري المجلد الرابع ٤٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٢٥/١٣.

الإسلامية، لا الشوكة باليد اليسرى ليأكل بها كما هي أعراف أدعياء التقدمية - فإن الشيطان يأكل بشماله[1] ومن الواضح للمتأمل في اداب الطعام المسنونة أن فيها ما يغني عن الأعراف المستوردة وفيها الفضل والأجر معاً.

ومن العادات السائدة: كثرة القسم بالله لأجل أن تستزيد المضيفة من الطعام والشراب.

إن الطعام والشراب أتفه من أن نقسم لأجله.

ثم إن حصل وقالت المرأة للضيفة، بالله عليك، أو أستحلفك بالله ونحوها أن تأكلي كذا.. فالواجب الشرعي يقتضي أن تأكل الضيفة تكريما لاسم الله تعالى للحديث «**ومن سألكم بالله فأعطوه**»[2].

ولا مسوغ البتة لمثل هذا القسم، فحبك لصديقتك وإكرامك لها يقتضي أن لا توقعيها في الإثم، الذي يحصل عند عدم برها بقسمك.

«ومن آداب الزائر أن لا يقترح طعاماً بعينه. وإن خير بين طعامين اختار أيسرهما إلا أن يعلم أن مضيفه يسر باقتراحه. ولا يقصر عن تحصيل ذلك. فقد نزل الشافعي رحمه الله على الزعفراني وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية. فأخذ الشافعي الرقعة وألحق فيها لوناً آخر. فلما علم الزعفراني اشتد فرحه»[3].

---

(١) في هذا المجال تستحضرني حادثة طريفة ومؤلمة في آن واحد. وهي أن بلداً شعبه مسلم أراد أن يستضيف وفداً عسكرياً ألمانيا وكي تثبت هذه البلد تقدماً وحضارة!! فقد دربت العسكريين الذين سيتولون مرافقة هذا الوفد على كيفية الأكل بالشوكة في اليسار للأكل بها. والسكين في اليمين للقطع! وشر البلية ما يضحك كما يقال.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٣) المصدر السابق ص ٩٦.

وفي الشرب:

يستحب التنفس ثلاثاً خارج الإناء، ويكره التنفس فيه: عن أبي قتادة أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثاً ويقول إنه أروى وأبرأ وأمرأ[1].

ويسن إعطاء الأيمن بعد المبتدىء أما إن كان من هو أسن منه أو أفضل منزلة فلا يعطى إلا بعد استئذان الأيمن:

عن سهل بن سعد قال: أتي النبي ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال: يا غلام أتأذن أن أعطيه الأشياخ؟ فقال: ما كنت لأوثر بفضل منك أحداً يا رسول الله. فأعطاه إياه.

أما ساقي القوم فهو آخرهم شرباً.

عن ابن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «ساقي القوم آخرهم شرباً»[2].

ملاطفة الصغار: «ومداعبتهم واللطف معهم».

إن كانوا للضيفة أو المضيفة أو غيرهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟»[1] كان له نغير يلعب به فمات.

إن طفل اليوم، هو رجل المستقبل الذي يرفع شأن الأمة ونأمل منه أن يتكافل مع أبنائها يساعد الضعيف ويعين المحتاج..

---

(١) شرح صحيح مسلم جـ ١٩٨/١٣.

(٢) متفق عليه (ينظر شرح السنة ١٧٩/١٣) والنغير طائر يشبه العصفور.

وكيف نطلب العطف والرحمة ممن لم يلق إلا الغلظة والجفاء؟
وكيف نريد التعامل الودود ممن لم يجد المحبة من الآخرين؟.
وهل يرد للمجتمع إلا ما أخذ منه؟.

فإهمال الأطفال صغاراً ينتج رجالاً لا يتحملون مسئولية، ولا يبالون بما حل بأمتهم من نكبات. وكذلك الخشونة معهم في طفولتهم تعطي رجالاً غلاظ الأكباد، لا يرحمون محتاجاً. ولا يجيبون سائلاً. أما طلاقة الوجه وحسن التعامل معهم في صغرهم، فتدفعهم إلى العطاء والجود بالنفس والجهد والمال، بقلب مفعم بالخير الذي تعلموه صغاراً من الآخرين.

إن الأطفال ليسوا بأقل حاجة إلى حسن التعامل معهم من الكبار. لذا دعا الإسلام إلى الرحمة بهم وحسن معاملتهم:

«قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم قالوا: لكنا والله ما نقبل. فقال رسول الله ﷺ أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة»[1].

وفي حديث آخر للرسول ﷺ:

«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»[2].

في المهاداة:

الهدية أدعى للمودة وقد نهى الرسول ﷺ عن ردها لما في ذلك من جرح لمشاعر المُهدي وإيلام له:

قال صلى الله عليه وسلم: «لا تردوا الهدية. وأجيبوا الداعي. ولا تضربوا المسلمين».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أهدي

---

(١) رواه البخاري ومسلم في الأدب.

(٢) أخرجه أحمد والحاكم واسناده صحيح على شرط مسلم ينظر شرح السنة جـ ١٣/ ٤٠.

إلي ذراع لقبلت. ولو دعيت إلى كراع لأجبت » وقال أبو الدرداء رضي الله عنه إذا وصل أحدكم أخاه فليقبل صلته. وإن كان محتاجاً إليه فلينفقه. وإن كان مستغنياً عنه فليضعه في أهل الحاجة »(١).

أما هدايا المشركين فلا بأس بقبولها:

لما روى عن أنس رضي الله عنه: أهدى الأكيدر لرسول الله ﷺ جرة من مَنٍّ فجعل يقسمها بيننا »(٢).

أما هدايا المجوس.

فقد سألت امرأة السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: إن لنا جيراناً من المجوس وإنهم يكون لهم العيد فيهدون لنا فقالت: أما ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا. ولكن كلوا من أشجارهم(٣).

ما يقال في المناسبات:

لا تزهدي بالكلمة الحلوة فإليها دعا نبيك. فهي تمسح أوضار النفس وتهيء المناخ المناسب للعلاقات الودودة بين المسلمات وقد علمنا الرسول ﷺ كيف نختار الألفاظ المناسبة لكل مقام ويجدر بنا التعود عليها والتمسك بها:

في العيد: يقال: تقبل الله منا ومنكم وأحاله الله عليك فهذا قد روي عن طائفة من الصحابة أنهم كانوا يفعلونه ورخص فيه الأئمة كأحمد »(٤).

التهنئة بلبس الجديد:

يقال: أبلي وأخلقي. قالها الرسول ﷺ لأم خالد رضي الله عنها

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة جـ ٥٥٥/٦.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة جـ ٤٦٨/٢.
(٣) عون الباري المجلد الرابع ١٨٧.
(٤) الفتاوى جـ ٢٥٣/٢٤.

وعليها قميص أصفر قال: «أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثلاثاً»[١].

التهنئة بالزفاف:

«يستحب الدعاء للعروسين بالخير والبركة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي ﷺ فأتتني أمي فأدخلتني الدار. فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان، إذا تزوج قال: بارك الله لك وبارك الله عليك وجمع بينكما في خير. رواه أبو داود والترمذي.

ولا يقول: بالرفاء والبنين كما يفعل الذين لا يعلمون، فإنه من عمل الجاهلية. وقد نهي عنه في أحاديث منها:

عن الحسن أن عقيل بن أبي طالب تزوج امرأة من جشم فدخل عليه القوم فقالوا: بالرفاء والبنين. فقال: لا تفعلوا ذلك فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك قالوا: فما نقول يا أبا زيد؟ قال: قولوا: بارك الله لكم وبارك عليكم. إنا كذلك كنا نؤمر. رواه ابن أبي شيبة[٢].

ما يقال للمسافرة:

أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.

لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقول للرجل إذا أراد سفراً أدن مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»[٣].

---

(١) عون الباري جـ٤/٤٥٢.

(٢) آداب الزفاف للألباني ٨٩ - ٩٠.

(٣) رواه الترمذي في الدعوات وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

ما يقال للمولود:

يدعى له بالبركة. لحديث عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ «كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم»[1].

ومما يستحب قوله: بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، ورزقت بره وبلغ أشده[2].

في عيادة المريضة:

«يستحب إذا دخلت على مريضة أن تدعو لها وترقيها: قال ثابت لأنس رضي الله عنه: يا أبا حمزة اشتكيت. قال أنس: أفلا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال بلى.

قال: اللهم رب الناس مذهب الباس. اشف أنت الشافي شفاء لا يغادر سقماً»[3].

وتطيب نفس المريضة بكلمات تنعش روحها وتدخل السرور على قلبها كالدعاء المأثور في مثل هذه المناسبة «لا بأس طهور إن شاء الله»

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده قال له: «لا بأس طهور إن شاء الله»[4].

ما يقال في التعزية:

ليس في التعزية شيء محدود إلا أنه روي أن النبي ﷺ عزى رجلا فقال: «يرحمه الله وآجرك» رواه أحمد.

---

(١) شرح صحيح مسلم جـ ١٤/١٢٧.
(٢) ينظر تحفة المودود لابن القيم.
(٣) المغني جـ ٢/٤٤٩.
(٤) حياة الصحابة جـ ٢/٥١٠.

وعزى رجلاً فقال: «آجرنا الله وإياك في هذا الرجل.

وروي أنه قال: أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك ورحم الله ميتك» وهو ما يستحب قوله في تعزية المسلم بالمسلم[1].

«وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما أحسن تعزية أهل اليمن. وتعزيتهم: لا يحزنكم الله ولا يفتنكم وأثابكم ما أثاب الشاكرين. وأوجب لكم الصلاة والرحمة.

وكان أبو بكر رحمه الله إذا عزى رجلاً قال:

ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة. الموت أشد ما قبله، وأهون ما بعده. اذكروا فقد الرسول ﷺ تهن عندكم مصيبتكم. صلى الله على محمد وعظم الله أجركم»[2].

«وكان ابن الزبير وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم يقولان: أعقبك الله عقبى المتقين صلوات منه ورحمة، وجعلك من المهتدين وأعقبك كما أعقب عباده الأنبياء والصالحين»[3].

وأما قول القائل ما نقص من عمره زاد في عمرك فغير مستحب. بل المستحب أن يدعو له بما ينفع»[4].

«وفي التعزية لكافر أو عن كافر لا يدعو لكافر حي بالأجر. ولا لكافر ميت بالمغفرة. كأن يقال: أخلف الله عليك ولا نقص في عددك»[5] والرد في التعزية أن يقال:

---

(١) المبدع جـ ٢٨٥/٢.
(٢) البيان والتبيين جـ٣/٢٣٠، دار إحياء التراث/ بيروت.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة جـ ٢٨٦/٣.
(٤) الفتاوى جـ ٣٨١/٢٤.
(٥) المبدع: جـ ٢٨٥/٢.

استجاب الله دعاك وسلمنا وإياك[1].

عند رؤية ما نحب:

كان صلى الله عليه وسلم: إذا رأى ما يحب قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يكره قال: الحمد لله على كل حال**»[2].

تشميت العاطسة:

وذلك إذا حمدت الله تعالى فقط:

لما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر. فقيل: يا رسول الله. عطس عندك رجلان فشمَّت أحدهما ولم تشمت الآخر فقال: **إن هذا حمد الله وهذا لم يحمده**»[3].

وطريقته أن تحمد من تعطس الله تعالى،فترد عليها من حولها بقول يرحمك الله. فترد بقولها: يهديكن الله ويصلح بالكن.

أما عند التثاؤب فمن السنة وضع اليد على الفم لحديث الرسول ﷺ «**إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل**»[4].

ما يقال لمن تصنع المعروف:

لقد دعا الإسلام إلى شكر من يستحق الشكر من الناس تشجيعاً له واعترافاً بفضله. فهو وإن قام بواجبه، لكن الكثيرين غيره يهملون ما يجب عليهم عمله وقد جاء في الحديث:

---

(١) المغني جـ ٥٤٥/٥.

(٢) زاد المعاد: جـ ٣٦/٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة جـ ٤٩٥/٨.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٢٢/١٨.

« من لا يشكر الله لا يشكر الناس »[1].

ومن المستحب الدعاء لصانع المعروف لقوله صلى الله عليه وسلم من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه ».

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يدعو لمن تقرب إليه بما يحب وبما يناسب. فلما وضع له ابن عباس وضوءه قال: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ».

ولما دعمه أبو قتادة في مسيرة الليل لما مال عن راحلته قال: حفظك الله بما حفظت به نبيك. وقال صلى الله عليه وسلم: « من صنع إليه معروف قال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء »[2]

ومن الدعوات المسنونة بعد الشرب تدعو بها الضيفة:

اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم[3].

وبعد الأكل تدعو لصاحبة الطعام بقولها:

« أكل طعامكم الأبرار وأفطر عندكم الصائمون وصلت عليكم الملائكة ».

ما يقال في ختام المجلس:

كان رسول الله ﷺ يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس: « سبحانك اللهم وبحمدك. اشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك »[4].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « من قال حين يقوم من مجلسه

(١) رواه أبو داود في الأدب والترمذي في البر والصلة.
(٢) زاد المعاد ٣٦/٢.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وأبو نعيم - ينظر حياة الصحابة جـ ٧٠٢/٢.
(٤) اسناده صحيح اخرجه أحمد والطحاوي والبيهقي ينظر شرح السنة جـ ٢٨٣/١٢.

سبحانـك اللهم وبحمـدك اشهـد أن لا إلـه إلا أنـت استغفرك وأتوب إليك قال: كفر الله عنه كل ذنب في ذلك المجلس»[١].

وهكذا أختي المسلمة: تلاحظين أن هذه الآداب الشرعية، والألفاظ المسنونة نكمل بها حسن تأسينا برسول الله ﷺ ويصبح مجتمعنا مجتمعاً متميزاً متماسك البنيان بمحافظته على هدي رسول الله ﷺ وفي ذلك وقاية لنا من الذوبان في المجتمعات الجاهلية، وتبيان لأصالتنا حيث أن المسلمة يجب أن تكون جادة في تلمس السير على خطوات السلف الصالح، حتى لا نفسح المجال للبدع في أعرافنا وتقاليدنا لأنه ما من بدعة تحل إلا لتمحو سنة صحيحة.

٧ - البعد عن زلات اللسان:

وبعد أن عرفنا المستحبات والآداب الشرعية نتحدث عن المحرمات التي يجب أن نتجنبها ولا نقربها حتى لا توقعنا زلات اللسان فيما لا تحمد عقباه في الدنيا والآخرة.

ومن هذه الآفات: الغيبة والنميمة والكذب.. مما سنوضح أخطاره إن شاء الله.

١ - النميمة:

هي نقل الكلام بين الناس للإفساد بينهم.

وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على تحريمها قال تعالى:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾[٢].

فالمشاء بالنميم: يسعى بين الناس ليفسد بينهم، ويقطع أواصرهم. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على سوء نية، وفساد طوية لما في

(١) مصنف ابن ابي شيبة ١٠/١٥٦.

(٢) سورة القلم، الآيتين ١٠ - ١١.

النميمة من إشعال الفتنة بين الناس وإثارة نيران الشحناء والبغضاء بينهم.

فكم من بيوت هدمت، وأسر تشتّتت ورحم قطعت، وصدور أوغرت بسبب النميمة.

لقد ساء النمامين رؤية المسلمين تشملهم روح المودة، وتصل بينهم وشائج الحب. يتعاونون على الخير، ويتحدون على أعدائهم. فإذا بهم يقلبون الحب عداوة. والاتحاد تفرقاً وبغضاً. فتنقطع روابط المودة ويتبعثر المجتمع وإن ساد هذا - والعياذ بالله - يكون ما يكون من طمع الأعداء في المسلمين وغلبتهم.

فحري بالنمام أن يكون أبغض الناس إلى رسول الله ﷺ الذي يبين بغضه لهم بقوله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلي المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون للبرآء العيب**»[1].

فحيث أنها تفرق بين الناس وتزرع الضغينة بينهم، وتجلب الخصام فهي تدل على دناءة ولؤم صاحبها. لذا استحق العذاب الأليم في قبره، حيث لا أنيس ولا رفيق. فزيادة عن وحشته في ظلمة القبر، له العذاب فيه لما جره على المسلمين من آلام ممضة بسوء فعلته.

مر الرسول ﷺ بقبرين يعذبان فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير. بلى إنه لكبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة. وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**»[2].

---

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط الترغيب والترهيب جـ ٣/٤١٠.

(٢) رواه البخاري في الجنائز باب عذاب القبر من الغيبة والبول - ومسلم في الإيمان.

وقد خاب النمام حيث لم يفلح في تزكية نفسه وتطهيرها فحق عليه الحرمان من الجنة كما ذكر الرسولﷺ: «لا يدخل الجنة نمام» أما من حملت إليه نميمة، وقيل له: يقول فيك فلان كذا وكذا فعليه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقه لأن النمام فاسق.

الثاني: ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى، ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا يظن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن ذلك.

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته عنه فيقول: فلان حكى كذا فيصير نماماً به»[1].

وهكذا أختي المسلمة علينا في مجالسنا أن نتنزه عن هذه الصفة السيئة. لأنها محرمة مفسدة لأواصر المجتمع. وأن نشغل مجالسنا بالطيب من الحديث. والمباح من الكلام.

٢ - الكذب:

رذيلة محضة تنبيء عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها. ومرض عضال إن لم يسارع صاحبه إلى علاجه أودى به الى النار، وهو من علامات النفاق وانقطاع الصلة بالدين:

«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»[2].

ولا عذر البتة لمن تتخذ الكذب خلقاً لها فتعيش على الخداع. وهذه الصفة لا تتصف بها مؤمنة أبداً فقد قال رسول الله ﷺ:

(١) الحديث رواه مسلم. والتعليق في شرح النووي على صحيح مسلم جـ٢/١١٣.

(٢) متفق على صحته شرح السنة ١/٧٢.

«يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»[1]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[2].

وقد أنبأ الرسول ﷺ أصحابه عن أكبر الكبائر ومنها قول الزور.

ذلك أن الكذب رأس كل خطيئة، فالسارق لا يكون إلا كاذباً لينفي سرقته. والمحتال لا يكون إلا كاذباً ليبرر حيلته. والزاني لا يكون إلا كاذباً ليرد عنه رذيلته... وهكذا.

لذا أوجب الإسلام علينا الالتزام بالصدق في تعاملنا، والتورع عن الكذب حتى في الأمور الحياتية البسيطة.

عن أسماء بنت يزيد قالت: يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذباً؟ قال: «إن الكذب يكتب كذباً حتى تكتب الكذيبة كذيبة»[3].

وبعضهن قد تستسهل الكذب في المزاح لإضحاك الأخريات، وحجتها أن الإسلام أباح الترويح عن النفس... إنه أباح المرح المنشط والنكتة الحلوة المهذبة، لكن شريطة أن لا نقول إلا حقاً.

قدوتنا في ذلك الرسول ﷺ: كان يمزح ولا يقول إلا حقاً وقد حذر من هذا النوع من الكذب بقوله:

«ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ثم ويل»[4] والويل: الهلاك.

وما الذي تجنيه من تعتاد الكذب غير أنها تكون دائماً محل اتهام لا يقبل لها قول ولا يوثق بها. ومن عرف عنها الكذب لن يصدقها أحد،

(١) رواه أحمد في المسند.

(٢) سورة النحل، آية ١٠٥.

(٣) رواه أحمد - الترغيب والترهيب جـ ٥٩٧/٣.

(٤) رواه أبو داود في الأدب والترمذي في الزهد.

ولو صدقت مرة فلن تصدق بعدها.

فلنستشعر عظمة الخالق، ولنتوكل عليه وحده، فلم الكذب وما قدره الله تعالى كائن لا محالة؟!.

إن الصدق مهما جلب من مشقة - ظاهرية - في الدنيا خير من العاقبة الوخيمة للكذابين في النار. ففي حديث منام الرسول ﷺ قال: «فأتينا على رجل مستلق إلى قفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه. ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول. فما يفرغ بعد ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان. ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى.. قال: قلت: سبحان الله من هذا؟ قال: إنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق»[1].

وهذا وإن كان مناماً إلا أنه حق، ذلك أنه منام الرسول ﷺ والأنبياء لا يخالطهم شيطان، فمنامهم حق.

أما المعاريض فتباح عند الحاجة الشرعية وقد تسمى كذباً، لأن الكلام يعني به المتكلم معنى، وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب فإذا لم يكن على ما يعنيه فهو الكذب المحض.

وإن كان على ما يعنيه، ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب. فهذه المعاريض وهي كذب باعتبار الإفهام، وإن لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة ومنه قول النبي ﷺ: «لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله. قوله لسارة: ﴿أختي﴾ وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وقوله: ﴿إني سقيم﴾ وهذه الثلاثة معاريض وبهذا احتج العلماء على جواز

(١) رواه البخاري في العلم من حديث طويل.

التعريض للمظلوم: وهو أن يعني بكلامه ما يحتمله اللفظ، وإن لم يفهمه المخاطب.

ولهذا قال من قال من العلماء: إن ما رخص فيه رسول الله ﷺ إنما هو من هذا. كما في حديث أم كلثوم بنت عقبة عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس الكاذب بالذي يصلح بين الناس، فيقول خيراً أو ينمي خيراً، ولم يرخص فيما يقول الناس إنه كذب إلا في ثلاث: في الإصلاح بين الناس، وفي الحرب، وفي الرجل يحدث امرأته**». قال فهذا كله من المعاريض خاصة »[1].

وقد قال عمر رضي الله عنه. أما في المعاريض ما يغني الرجل عن الكذب »[2] فشتان بين من تصلح بين الناس فتبالغ في ذكر المزايا الخيرة في أختها المسلمة، أو تحدثها عن أمور مفتعلة حرصاً منها على إزالة الشقاق.

وبين تلك التي تكذب بين الأخوات لتقطع ما اتصل من أواصر المحبة بينهن. فما أجدر الكاذبة بعقوبة الخالق جل وعلا وهي: أن يفضحها على رؤوس الإشهاد، ويخزيها يوم القيامة فتكتب مع الكذابين: «**إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[3].

فلنتق الله في أنفسنا ولنحبس لساننا عن ما حرم الله تعالى. وما أجمل مجالس المؤمنات يزينها الصدق وكل فضيلة، وتبتعد عنها الرذائل.

---

(١) الفتاوي لابن تيمية جـ ٢٨/٢٢٤.
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ورجاله ثقات شرح السنة جـ ١/١٥٥.
(٣) رواه البخاري في الأدب ومسلم في البر والصلة.

٣ - الغيبة:

وهي ما بينها الرسول ﷺ في الحديث:

«أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول: قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول: فقد بهته»[١] فهي أن تذكر المرأة عن أختها الغائبة صفة موجودة فيها لا تذكرها أثناء حضورها سواء في صفاتها الخُلقية أو الخَلقية الدينية أو الدنيوية. وقد حرمها الإسلام لما فيها من إفساد المودة وبذر العداوة ونشر العيوب. «ومن الناس من يغتاب موافقة لجلسائه وأصحابه وعشائره مع علمه أن المغتاب بريء مما يقولون او فيه بعض ما يقولون. لكنه يرى أنه لو أنكر عليهم قطع المجلس واستثقله أهل المجلس ونفروا عنه فيرى موافقتهم من حسن المعاشرة وطيب المصاحبة»[٢] فالعاقلة من اشتغلت بعيوب نفسها عن عيوب الأخريات وذبت عن عرض أختها وزجرت المغتابة، بدل مجاملتها والاسترسال معها في الغيبة. والا فتترك المجلس ولا تلقي أذناً صاغية للغيبة حتى لا تشارك في الإثم. وفي فضل الدفاع عن عرض المسلم قال رسول الله ﷺ: **«من ذب عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار»**[٣].

إن حق الأخوة يقتضي النصح والستر. لا الإعلان والتشهير، وما الفائدة التي يجنيها من ينال من الآخرين ويعمل على تجريحهم وتشويه صورهم ما الكسب غير مباءة المغتاب بالإثم وخسارة الحسنات التي كان

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٢/١٦.

(٢) الفتاوى ٢٣٦/٢٨.

(٣) أخرجه أحمد وحسنه المنذري. ينظر شرح السنة ١٠٧/١٣.

يعملها فيعطيها رغم أنفه لمن اغتابه؟! لذا فهو المفلس حقاً كما بين ذلك الرسول ﷺ لأصحابه بقوله:

«أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

وفي حديث آخر: «إن الرجل ليؤتى كتابه منشوراً فيقول: يا رب فأين حسنات كذا وكذا، عملتها ليست في صحيفتي؟! فيقول: محيت باغتيابك الناس»[1].

وقد شبه القرآن الكريم المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتاً قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾[2].

وأي عمل أقبح من أكل لحم الميت. وأي تنفير أشد من ذلك بئس الطعام هو وبئس الكلام: الغيبة.

وحري بمن تغتاب أن تلتفت لنفسها لتعرف أخطاءها وتحاول إصلاحها فلتنهض بنفسها عن الخطايا ولتعلم أن الناقد بصير. ولتصن لسانها عن عورات الناس تتمثل بالقول المنسوب للإمام الشافعي رحمه الله:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صين

---

(١) رواه الأصبهاني ينظر الترغيب والترهيب جـ ٥١٥/٣.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٢.

لسانك لا تذكر به عورة امرىء   فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايباً   فصنها وقل: يا عين للناس أعين

وقد أخرج أبو يعلى عن البراء رضي الله عنه قال:

خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها أو قال: في خدورها فقال:

«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته. ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»(١).

هذه المغتابة التي نالت من عرض أختها في غيبتها.. قد تواجهها بعدها، فماذا يكون شأنها حينذاك؟ إنها تقابلها بالمحبة والوداد. بوجه غير الذي كان حين غيبتها. لذا فهي جديرة أن تسمى ذات الوجهين. وقد حذر الرسول ﷺ من هذا الصنيع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: **«من شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»**(٢).

يا له من خلق ذميم، ونفس بعدت عن الله تعالى فأبعد عنها عزة الإيمان. فهي ذليلة متدنية تسعى للتملق عند الأخريات وتعجز عن مواجهتهن بما يجول في صدرها، فتسلقهن بلسانها في غيابهن وهذا الخلق من أشد حالات الغيبة إيلاماً لمن ابتلوا بمعاشرة أمثال هؤلاء.

---

(١) أخرجه ابو يعلى ينظر حياة الصحابة العواتق: جمع عاتق الشابة أول ما تدرك وقال الهيثمي رجاله ثقات ٣/٤١٠.
(٢) رواه الترمذي في البر والصلة.

وقد تعملها البعض يحسبنها من اللياقة الاجتماعية، ومن الأدب المتصنع الذي يتعلمن إتقانه. فلنترفع عن دنايا الجاهليات ونتأدب بأدب الإسلام ونؤوب إلى ديننا نلتمس العزة بالتمسك به. فلا نهين نفساً أعزها الله بدينه، بالنيل من أعراض الاخريات في غيبتهن ثم التملق لهن عند لقائهن.

الحالات التي تباح فيها الغيبة:

«والغيبة لا تباح أبداً إلا في أحد الحالات الآتية:

١ - التظلم.

٢ - الاستعانة على تغيير المنكر.

٣ - الاستفتاء.

٤ - تحذير المسلمين من الشر.

٥ - أن تكون لمن يجاهر بفسقه أو بدعته.

٦ - للتعريف كالألقاب التي يعرف بها الأشخاص[١].

هذا وليست الغيبة بالكلام فحسب بل بكل ما يؤدي معناها من غمز ولمز:

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٢].

كما وتسن المضمضة من الغيبة، وكأن في ذلك إشارة إلى قبح الغيبة وتوبة المغتابة وأوبتها إلى الله تعالى:

ذلك أنه اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه واجتمع إليه نساؤه. فقالت صفية بنت حي: إني والله يا نبي الله لوددت أن

---

(١) روضة الطالبين للإمام النووي ١/٣٣٠ باختصار.

(٢) سورة الهمزة، آية ١.

الذي بك بي. فغمزن أزواجه ببصرهن فقال: مضمضن. فقلن: من أي شيء؟

فقال: من تغامزكن بها والله إنها لصادقة»[1].

بمثل هذه التربية الرشيدة، والتوجيه القويم. أخذ الرسول ﷺ بيد أمته فدلها على كل خير وفضيلة. إن تمسكت به نجت.

فإلى الخلق الفاضل على هدي المصطفى ﷺ، وإلى الحب الودود بين المؤمنات في رحاب الإسلام.

▪ - عدم تحقير المسلمة والسخرية منها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

إن مما يمزق أواصر الأخوة التهكم والازدراء والسخرية من الآخرين، إن هذه الأخلاق تنشأ عن جهالة سادرة وغفلة شائنة إن حق الضعيف أن يحمل لا أن ينال منه. ومن حق الحائر أن يرشد لا أن يضحك عليه. وإذا وجدت بشخص عاهة أو عرضت له سيئة، فآخر ما يتوقع من المسلم أن يجعل ذلك مجال تندره واستهزائه»[3].

---

(١) الإصابة جـ ٣٣٩/٤.
(٢) سورة الحجرات آية ١٢.
(٣) خلق المسلم للغزالي ٢٩٦.

وقد حذر الرسول ﷺ من تحقير المسلم بقوله:

« بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[1].

ومن تقدم على الاستهانة بالآخرين إلا من امتلأ قلبها تيهاً وكبراً؟! فتغمط الناس حقهم، وتتعالى عليهم، وتستهزىء بهم.

أما المؤمنة حقاً فتعلم أن الناس إنما يتفاضلون بتقواهم لا بغير ذلك من المقاييس الأرضية الفانية. وتعرف أنه:

« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »[2].

فتحرص على جنة عرضها السموات والأرض، ولا تفوتها بالسخرية والاستهزاء والتحقير.

أما إن استصغر شأنها أحد، أو انتقدها، فلا تلق له بالاً ولسان حالها يقول:

نحن قوم ذنوبنا للأعادي أخذوها بغيبة وانتقاد

٥ - البعد عن اللغو وإيثار الصمت:

« اللغو هو الفعل الذي لا فائدة فيه » وما كان هذا وصفه من القول والفعل فهو محظور.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما اللغو: القول الذي لا فائدة فيه وهو الباطل، وإن كان الباطل قد يبتغى فيه فوائد عاجلة »[3].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦/١٢٠.
(٢) رواه مسلم في الإيمان.
(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/٢٥٣.

« واللغو إنما سمي لغواً بما أنه يلغى. وكل ما يقتضي الدين إلغاءه كان أولى باسم اللغو »[1].

« واللغو فارغ الحديث الذي لا طائل تحته، ولا حاصل وراءه، وهو الهذر الذي يقتل الوقت، دون أن يضيف إلى القلب أو العقل زاداً جديداً ولا معرفة مفيدة.

وهو البذيء من القول الذي يفسد الحس واللسان سواء أوجه الى مخاطب، أم حكي عن غائب.

والقلوب المؤمنة لا تلغو ذلك اللغو. ولا تستمع إلى ذاك الهذر. ولا تعني بهذا البذاء، فهي مشغولة بتكاليف الإيمان مرتفعة بأشواقه متطهرة بنوره »[2].

وقد مدح الله تعالى المؤمنون الذين يعرضون عن اللغو بقوله جل وعلا:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[3].

« ذلك أن للقلب المؤمن ما يشغله عن اللغو واللهو والهذر، له ما يشغله من ذكر الله، وتصور جلاله وتدبر آياته في الأنفس والآفاق. وكل مشهد من مشاهد هذا الكون يستغرق اللب، ويشغل الفكر، ويحرك الوجدان، وله ما يشغله من تكاليف العقيدة، تكاليفها في تطهير القلب وتزكية النفس وتنقية الضمير.

---

(١) التفسير الكبير للرازي ٢٣/٨٠.

(٢) في ظلال القرآن المجلد الخامس ٢٧٠١.

(٣) سورة المؤمنون، آية ١ – ٣.

وتكاليفها في السلوك ومحاولة الثبات على المرتقى العالي الذي يتطلبه الإيمان وتكاليفها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصيانة الجماعة من الفساد والإنحراف. وتكاليفها في الجهاد لحمايتها ونصرتها وعزتها والسهر عليها من كيد الأعداء.

وهي تكاليف لا تنتهي ولا يغفل عنها المؤمن ولا يعفي نفسه منها.

وهي مفروضة عليه فرض عين أو كفاية. وفيها الكفاية لاستغراق الجهد البشري، والعجز البشري، والطاقة البشرية المحدودة.

وهي إما أن تنفق في هذا الذي يصلح الحياة ويرقيها. وإما أن تنفق في الهذر واللغو واللهو. والمؤمن مدفوع بحكم عقيدته إلى إنفاقها في البناء والتعمير والإصلاح. ولا ينفي أن يروح المؤمن عن نفسه في الحين بعد الحين، ولكن هذا غير الهذر واللغو والفراغ »[1]

فالثرثرة وكثرة الكلام مما ابتليت به كثيرات،وهي تكثر الغلط وتثقل الظل. لذا فلتسأل الواحدة نفسها قبل أن تحدث الأخريات هل هناك ما يستدعي الكلام؟؟ فإن وجدت خيراً تثاب عليه تكلمت به. وإلا إن كان محرماً أو مكروهاً أو حتى مباحاً يستوي فيه الطرفان. فلتمسك عنه خشية الوقوع في الحرام.

ذلك أن قيمة المرء ليست كثرة كلامه. وانما في الفائدة الدينية من وراء كلامه.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في وصف حديث الرسول ﷺ: ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا. ولكن كان يتكلم بكلام يبينه. يحفظه من جلس إليه.. وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه. ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه »[2]

(١) في ظلال القرآن المجلد الرابع ٢٤٥٤.
(٢) زاد المعاد ١/٤٦.

وقد قال الإمام الجليل أبو محمد أحد أئمة المالكين:

«جماع آداب الخير يتفرع من أربعة أحاديث:

قول النبي ﷺ:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

وقوله صلى الله عليه وسلم:

«من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

وقوله صلى الله عليه وسلم للذي اختصر له الوصية: «لا تغضب».

وقوله صلى الله عليه وسلم:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

وقد أوضح لنا تعالى الطريق الذي نواجه به فارغ الحديث بقوله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[2].

«إنها صورة وضيئة للنفس المؤمنة المطمئنة إلى إيمانها تفيض بالترفع عن اللغو. كما تفيض بالسماحة والود، وترسم لمن يريد أن يتأدب بأدب الله طريقاً واضحاً لا لبس فيه. فلا مشاركة للجهال. ولا مخاصمة لهم. ولا موجدة عليهم. ولا ضيق بهم.

إنما هو الترفع والسماحة وحب الخير حتى للجارم المسيء»[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم جـ ١٩/٢.

(٢) سورة القصص، آية ٥٥.

(٣) في ظلال القرآن المجلد الخامس ٢٧٠٢.

ثم إن كثرة الكلام والثرثرة قد تدفع بصاحبتها إلى القبيح من الألفاظ، والدنيء من المعاني تحسبه خفة روح. فهي تتلفظ بالألفاظ البذيئة بلا وجل ولا حياء. والمسلمة الحقة تطهر لسانها من الفحش وتصون نفسها عن كل معيب. فتبعد عن الأحاديث التي تخرج عن الذوق والحياء لأنها تعلم أن الحياء من الإيمان، وأن المؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء.

وهي تسمع قوله صلى الله عليه وسلم:

«إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه أو تركه - الناس اتقاء فحشه»[1].

خابت وخسرت من رضيت لنفسها بتلك المكانة لفحش كلامها فلنستح من الله حق الحياء. ولنصن لساننا عن لغو الكلام ولنحبسه عن المحرمات من الكذب والغيبة والنميمة واحتقار الأخريات لننال رضوان الله تعالى.

---

(١) شرح صحيح مسلم جـ ١٤٤/١٦.

الزينة واللباس عند النساء*

بعد أن تحدثنا عن مجالس المؤمنات وما يجب أن تكون عليه من طهر لسان، وصفاء جنان، وبعد عن اللغو وهفوات اللسان لا بد من لمحة موجزة عن مظهر المرأة المسلمة أمام النساء ومعرفة ما يباح لها من لباس وزينة وما يحرم.

١ - اللباس أمام النساء:

لقد كان الرسول ﷺ يعجبه حسن المظهر ويدعو له. فقد قال مرة لأصحابه وهم قادمون من سفر: «**إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم. وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة بين الناس**»[(١)].

ذلك أنه بالترتيب والنظافة تصبح نفس اللابس جميلة أنيقة تبهج النفس. فالأناقة وحسن السمت من غير مبالغة ومغالاة مستحبة في الإسلام: وقد سأل رجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما ألبس من الثياب؟. قال: «ما لا يزدريك فيه السفهاء ولا يعتبك به الحلماء»[(٢)].

فالمسلمة تحرص على حسن المظهر أمام النساء لكن من غير مبالغة وإسراف. وشتان بينها وبين تابعات كل ناعق - فهذا لباس يليق

(*) هذا الفصل مقتبس من رسالتي الجامعية بعنوان: المرأة المسلمة (لباسها - زينتها - سفرها) بإشراف الدكتور محمد عجاج الخطيب - جامعة دمشق عام ١٩٦٦م ولم تطبع بعد.

(١) سنن أبي داوود جـ ٢/٨٣.

(٢) حياة الصحابة جـ ٢/٧١١.

بالسهرة وذاك للصباح وآخر تغيرت موضته - فيثقلن كاهل آبائهن وأزواجهن بطلبات سخيفة تسخطهم بل وتسخط الله تعالى عليهن.

«عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه اذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة**»[1].

جزاءً وفاقاً. فقد ظنَّ أنه يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولاً تيهاً وكبراً. فليتكبر في ظلمات الأرض ما شاء الله تعالى...

أما المؤمنة التي تريد الجمال فتسعى للجمال الدائم الذي لا يزول، أما الجمال الذي يذهبه التراب فلا تأس عليه إذا زال.

قال عليه الصلاة والسلام: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر. لا يبصقون فيها ولا يمتخطون. آنيتهم فيها الذهب والفضة. أمشاطهم من الذهب والفضة. ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك**»[2].

لذا فهي تسعى للآخرة سعيها المشكور ولا تنسى نصيبها من الدنيا فتبعد مطلقاً عن المحرمات وتستغني ما استطاعت عن فضول المباحات. تنوي بذلك القربة من الله تعالى واستحقاق ثوابه. «فالإسراف في المباحات هو مجاوزة الحد وهو من العدوان المحرم. وترك فضولها (أي المباحات) هو من الزهد المباح. وأما الامتناع عن فعل المباحات مطلقاً، كالذي يمتنع عن أكل اللحم والخبز ويظن أن هذا من الزهد المستحب،

---

(١) رواه مسلم. ينظر شرح صحيح مسلم جـ ٦٤/١٤.

(٢) عون الباري جـ ٥٣٦/٤. الألوة: العود المندي.

فهذا جاهل ضال، من جنس زهاد النصارى. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾[1].

«وأما المباحات فيثاب على ترك فضولها. وهو ما لا يحتاج إليه لمصلحة دينه. كما أن الإسراف في المباحات منهي عنه. قال تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ والفعل الواحد في الظاهر يثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة ويعاقب على فعله مع النية الفاسدة.

فمن ترك جميل الثياب بخلاً بالمال لم يكن له أجر. ومن تركه متعبداً بتحريم المباحات كان آثماً.

ومن لبس جميل الثياب إظهاراً لنعمة الله، واستعانة على طاعة الله كان مأجوراً. ومن لبسه فخراً وخيلاء كان آثماً. فإن الله لا يحب كل مختال فخور»[2].

فالمال في يد المسلمة لا في قلبها، والنعمة عون لها على الخير فإن كثر مالها لا يبطرها الغنى، ولا يترفها متاع الحياة الدنيا. تقتدي بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

فقد دخل عليها داخل وهي تخيط نقبة لها. فقال: يا أم المؤمنين أليس قد أكثر الله الخير؟

قالت: دعنا عنك. لا جديد لمن لا خَلِق له»[3] أخرجه ابن سعد فكما أن المسلمة عزيزة النفس في الفقر. تبعد عن المهانة والذلة. كذلك

---

(١) الفتاوى ١٣٣/٢٢.

(٢) الفتاوى ١٣٩/٢٢.

(٣) حياة الصحابة ٧١١/٢.

فهي معتدلة مقتصدة في الغنى. تحاسب نفسها فتبعدها عن الإسراف بعدها عن الشح.

فلباسها أنيق نظيف مرتب، يليق بأمثالها فلا يزري بها، ويظهر أثر نعمة الله عليها وكرامته.

بعيد عن السرف والخيلاء. تتجمل به أمام أخواتها وصاحباتها المؤمنات. ويكون ساتراً عورتها.

فلا تلبس ما يشف أو يصف الأعضاء التي يحرم النظر إليها وهي من السرة إلى الركبة[1]. وليس معنى ذلك أن تجلس مع النساء نصف عارية فما زاد ستره عن حد العورة فهو فضل. أما تشدد البعض في كشفها لرأسها في المنزل فليس له ما يسنده.

فقد جاء في حاشية ابن عابدين: يرخص للمرأة كشف الرأس في منزلها وحدها. وجواز لبس خمار رقيق يصف ما تحته عند محارمها لكن هذا ظاهر فيما يحل نظره للمحارم »[2].

أما أن تلبس المرأة الثياب القصيرة التي تبدي ركبتها أو فخذها في جلوسها وحركتها، فهو فضلاً عما فيه من التشبه بالكافرات فهو محرم لكشف العورة.

«لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة »[3].

---

(١) جاء في المبدع: وللمرأة مع المرأة والرجل مع الرجل النظر إلى ما عدا بين السرة والركبة. (المبدع جـ ١٠/٧. وفي التفسير الكبير للرازي تفصيل أكثر في رؤية الزينة الباطنة ينظر جـ٢٣/٢١٠).

(٢) حاشية ابن عابدين جـ ٣٧٥/١. وإلى هذا ذهب ابن تيمية في كتابه حجاب المرأة في الصلاة وغيرها. وكذلك في الفتاوى جـ٢٢/١١٤.

(٣) رواه الترمذي ينظر شرح السنة /٩/٢٠.

وكذلك ما تعمله بعض الجاهلات من المبالغة في التصنع في اللباس وتكلف ما ليس عندهن فهو من الزور فقد جاء في الحديث الشريف: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»[1].

ثم إن المسلمة لا تظهر زينتها الباطنة للكتابيات. فلباسها أمامهن ليس كلباسها أمام النساء المؤمنات التقيات.

لقوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ..... أو نسائهن﴾ الآية.

ففي قوله تعالى: أو نسائهن: «احتراز عن النساء المشركات فلا تكون المشركة قابلة للمسلمة ولا تدخل معهن الحمام.

لكن قد كن النسوة اليهوديات يدخلن على عائشة وغيرها. فيرين وجهها ويديها بخلاف الرجال.

فيكون هذا في الزينة الظاهرة في حق الذميات وليس للذميات أن يطلعن على الزينة الباطنة»[2] وقال ابن عباس: «ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب إلا أن تكون أمة لها لقوله تعالى: ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾[3].

زينة المسلمة:

عن ميمونة بنت سعد رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**مثل الرافلة في زينتها في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها**»[4].

فالمسلمة سيدة في مملكتها، زينتها لزوجها ولمحارمها الذين يجوز ابداؤها أمامهم وللنساء المسلمات وفي حدودها المشروعة.

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح.
(٢) الفتاوى جـ ١١٢/٢٢.
(٣) التفسير الكبير للرازي ٢٠٨/٢٣.
(٤) التاج الجامع للأصول جـ ٥٩٠/٢.

فما الزينة التي يمكن أن تتزين بها المرأة؟ وما حكمها؟

يمكن تقسيمها لتيسير البحث إلى زينة مستحبة، وزينة مباحة. وزينة محرمة.

أولاً: الزينة المستحبة

كالسواك وقص الأظافر.....

روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال:

«عشر من الفطرة........ ومنها السواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة»[1].

فمن الزينة المستحبة:

١ - **السواك**: وذلك لما فيه من عظيم فائدة. فهو نظافة وزينة. وقد حث الرسول ﷺ عليه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[2].

٢ - **استنشاق الماء**: وهذا يعني تنظيف الأنف للحديث الآنف الذكر.

٣ - **قص الأظافر**: ويستحب تقليم الأظفار لأنه من الفطرة. يتفاحش بتركه، وربما حك به الوسخ فيجتمع تحتها من المواضع المنتنة. فتصير رائحة ذلك في رؤوس الأصابع. وربما منع وصول الطهارة إلى ما تحته.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان: باب خصال الفطرة.

(٢) رواه البخاري في الجمعة - باب السواك يوم الجمعة.

ويستحب غسل رؤوس الأصابع بعد قص الأظافر، ودفن ما قلم من أظفاره[١].

فكيف بمن تطيل أظفارها فتصبح كمخالب الحيوانات؟! وإن لم يتم الشبه فتعمد إلى طلائها بالأحمر[٢]. كي تغدو الصورة أوضح وكأنها مخالب ملطخة... تحسب أن ذلك جمالٌ. وما هو في الواقع إلا انحراف عن الفطرة السليمة.

٤ - **غسل البراجم**: والبراجم: جمع برجم وهي مفاصل الأصابع[٣]. وفي إهمال غسلها عدا عن تجميع الوسخ فيها، الأمراض الجلدية وقبح ينفر من صاحبته.

٥ - **نتف الابط**: فيه نظافة دعا لها الدين. وهو سنة وإن أزيل بالحلق أو غيره جاز. ونتفه أفضل لموافاته الخبر.

٦ - **حلق العانة**: وبأي شيء أزيل فلا بأس به لأن المقصود إزالته. فإن طلي بالنورة فلا بأس إلا أنها (المرأة) لا تدع أحداً يلي عورتها. والحلق أفضل لموافاته الخبر. وقد قال ابن عمر رضي الله عنه: هو مما أحدثوه من النعيم (يعني النورة)[٤].

(والنورة: أخلاط من أملاح الكلسيوم والباريون تستعمل لازالة الشعر)[٥].

---

(١) المغني جـ ٨٨/١.
(٢) يكفي هذا الطلاء أن اسمه (مناكير) جمع منكر. يمنع الطهارة وبالتالي صحة الصلاة.
(٣) المعجم الوسيط.
(٤) المغني جـ ٨٧/١.
(٥) المعجم الوسيط.

٧ - **غسل الثوب إذا توسخ: وإصلاح الشعر إذا تشعث** لحديث جابر رضي الله عنه قال:

«أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلاً عليه ثياب وسخة فقال: **أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟**»(١).

وفي حديث آخر كان رسول الله ﷺ في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية. فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده أن اخرج. كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته. ففعل الرجل ثم رجع. فقال رسول الله ﷺ:

«**أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان**»(٢). والأكثر من ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان يأمر أصحابه إذا قدموا من سفر بالتمهل كي تتاح الفرصة لنسائهم للتنظف والتزين.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل، فقال: «**امهلوا حتى ندخل ليلاً كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة**»(٣).

٨ - **خضاب الشيب بالحناء**: يستحب خضاب الشيب ذلك أنه أتي رسول الله ﷺ بأبي قحافة يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً. فقال رسول الله ﷺ: «**غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد**»(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر على النبي ﷺ رجل قد خضب بالحناء فقال: ما أحسن هذا. ثم مر عليه آخر قد خضب بالحناء

---

(١) رواه أبو داوود باسناد صحيح المجموع جـ ٤٦٧/٤.

(٢) الموطأ جـ ٥٤٩/٢.

(٣) رواه مسلم: المغيبة التي غاب عنها زوجها. الشعثة: التي اغبر وتلبد وتوسخ شعرها. تستحده الإحداد حلق العانة.

(٤) رواه مسلم - شرح صحيح مسلم ٨٠/١٤.

والكتم فقال: هذا أحسن من هذا. ثم مر عليه آخر خضب بصفرة قال: هذا أحسن من هذا كله»[1].

«وقال الإمام أحمد: إني لأرى الرجل المخضوب فأفرح به. وأبو بكر وعمر خضبا والمهاجرون والنبي ﷺ قد أمر بالخضاب».

«ويستحب الخضاب بالحناء والكتم، وهو نبات يخرج باليمن قالوا: إن الصبغ به يخرج أسود ضارباً إلى الحمرة. والصبغ به وبالحناء معاً يخرج بين السواد والحمرة، ويكره الخضاب بالسواد. ورخص فيه اسحق للمرأة تتزين به لزوجها»[2].

فإذا كان مستحباً للرجل فالمرأة أولى لما فيه من زينة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت امرأة عثمان بن مظعون تخضب وتطيب فتركته. فدخلت علي. فقلت: أمشهد أم مغيب؟ فقالت: مشهد. قالت: عثمان لا يريد الدنيا ولا يريد النساء.

قالت عائشة: فدخل علي رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك. فلقي عثمان فقال: «يا عثمان تؤمن بما نؤمن به؟ قال: نعم يا رسول الله قال: فأسوة مالك بنا»[3].

والمقصود أن ترك الخضاب والتطيب إن كان لأجل غيبة الزوج فذلك.واستنكار عائشة عليها ترك الخضاب والطيب، يشعر بأن ذوات الأزواج يحسن منهن التزين للأزواج بالخضاب والطيب.

وهذه أم رعلة القشيرية قالت: يا رسول الله. إني امرأة مقينة (مجملة) أقين النساء وأزينهن لأزواجهن. فهل هو حوب فأثبط عنه فقال

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة جـ ٢٤٤/٨.

(٢) المغني جـ ٩٣/١.

(٣) رواه أحمد. نيل الأوطار ١٠٦/٦.

لها: «يا أم رعلة قينيهن وزينيهن إذا كسدن»[١].

فأباح لها تزيين المرأة وتجميلها لزوجها ما دام ذلك بالحدود المشروعة.

٩ - الكحل بالإثمد: وهو مستحب لقوله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر»[٢] والأمر هنا يدل على الاستحباب.

١٠ - تتبع أثر الدم عند الغسل من الحيض أو النفاس بالمسك أو ما يقوم مقامه.

«يستحب أن تغتسل (المرأة) بماء وسدر وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع بها مجرى الدم والموضع الذي يصل إليه الماء من فرجها، ليقطع عنها زفورة الدم ورائحته. فإن لم تجد مِسْكاً فغيره من الطيب فإن لم تجد فالماء شافٍ كافٍ. قالت عائشة رضي الله عنها إن أسماء رضي الله عنها سألت النبي ﷺ عن غسل الحيض فقال: «تأخذ إحداكن سدرتها وماءها، فتطهر أحسن الطهور. ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها. فقالت أسماء: وكيف أتطهر بها؟ فقال: سبحان الله تطهري بها. فقالت عائشة: كأنها تخفي ذلك: تتبعي أثر الدم» رواه مسلم»[٣].

وعلى هذا يمكننا أن نقيس رائحة الإبطين ومواضع أخرى فيستحب تطيبها شريطة أن لا يجد الرجال ريح المرأة أثناء خروجها.

فاستحب الاسلام للمرأة أن تأتي في زينتها كل ما يجعلها أنيقة حسنة المظهر طيبة الريح في حدود الحشمة والالتزام بما شرع الله تعالى.

---

(١) الإصابة جـ ٤٣١/٤.
(٢) التاج/ جـ ١٤٠/٣ والحديث رواه أصحاب السنن.
(٣) المغني جـ ٢٢٩/١. الفرصة: هي القطعة من كل شيء.

ثانيًا: الزّينة المباحة

١ - الحرير:

يباح لبسه للنساء: عن أبي موسى الأشعري عن الرسول ﷺ: «أحل الذهب والحرير للإناث من أمتي وحرم على ذكورها»[١].

ويشهد بذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى على أم كلثوم بنت النبي ﷺ بردحلة سيراء»[٢] رواه البخاري والنسائي.

وأهدى أكيدر دومة إلى النبي ﷺ ثوب حرير. فأعطاه علياً فقال: «شقه خمراً بين الفواطم» [فاطمة بنت الرسول ﷺ وفاطمة أم علي ابن أبي طالب. وفاطمة بنت حمزة رضي الله عنهن جميعاً][٣].

٢ - الفضة والذهب:

التحلي بالفضة مباح للمرأة وبأي شكل كان.

وكذلك الذهب لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الآنف الذكر.

---

(١) رواه النسائي والترمذي في اللباس.

(٢) نيل الأوطار جـ ٨٨/٢.

(٣) رواه مسلم. شرح صحيح مسلم جـ ٥٠/١٤.

وقد فرع الفقهاء على ذلك أن استعمال الذهب والفضة بطريق التحلي مباح للنساء(١).

وذكر النووي جواز لبس أنواع الحلي كلها. من الذهب والفضة كالخاتم والحلقة والسوار والخلخال والطوق والعقد والتعاويذ والقلائد وغيرها.

ويجوز لها لبس خاتم الذهب وهذا مجمع عليه ولا كراهة بلا خلاف لا بل إن الخطابي قد بالغ وقال: «يكره لها خاتم الفضة لأنه من شعار الرجال. قال: فإن لم تجد خاتم ذهب فلتصفره بزعفران وشبهه. وهذا الذي قاله لا أصل له والصواب أنه لا كراهة عليها»(٢).

وقد جاء عن أخت حذيفة رضي الله عنها قالت: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر النساء. أما لكن في الفضة ما تحلين به؟**»(٣). وذلك ترغيباً لهن في الزهد والالتفات للباقية بدل الفانية.

وهذا التوجيه يتناسب مع عظمة الإسلام. فليس من الإسلام أن تضع الأمة ثروتها في أعناق نسائها وأياديهن حلياً من الذهب معطلة من أي فائدة تعود للمسلمين.

أما ما كان من الزينة المعتدلة فجائز.

عن زينب بنت نبيط امرأة أنس بن مالك رضي الله عنه قالت: أوصى أبو أمامة أسعد بن زرارة بأمي وخالتي إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه حلي من ذهب ولؤلؤ يقال له (الرعاث) فحلاهن رسول الله ﷺ من ذلك الرعاث.

---

(١) تحفة الفقهاء جـ ٣/٤٨٦.
(٢) المجموع جـ ٤/٤٤٣.
(٣) الإصابة جـ ٤/٢٨٧.

قالت زينب: فأدركت بعض ذلك الحلي عند أهلي[1].

من ذلك كله ندرك جواز لبس الذهب والفضة، وتزين المرأة به على أن لا يظهر للأجانب. ولا يكون فيه إسراف وتبذير وإهدار لأموال الأمة. وإن كان يحسن من المسلمة الزهد المباح والزينة المقتصدة.

٣ - اللآلىء والجوهرات:

وهي من المباحات. إذ الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل يحرمها. ولقوله تعالى:

﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[2]

ولقوله جل وعلا: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[3].

فقد ذكر تعالى اللؤلؤ والمرجان على سبيل الامتنان. فهي جائزة وكذلك لحديث زينب امرأة أنس رضي الله عنه الآنف الذكر. في جواز الرعاث وفيه ذهب ولؤلؤ.

٤ - الأصباغ التي تستعمل في تحمير الوجنة وتبييض الوجه.

فهي جائزة قياساً على المعصفر الجائز للنساء.

فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل».

(١) الإصابة جـ ٤/٢٦٠.
(٢) سورة فاطر، آية ١٣.
(٣) سورة الرحمن، آية ٢٣.

ولا يذهب بنا الظن إلى أن التزعفر يختص بالثوب ولا يشمل البدن بل إن القصد أن ينضح بالزعفران، أي يلطخ جسمه به. أو يلبس الثوب المصبوغ به.

وإلى هذا ذهب البخاري فترجم باب النهي عن التزعفر للرجال. وتابعه ابن حجر فذكر: أن القصد من التزعفر - في الجسد - لأنه ترجم بعده: باب الثوب المزعفر(١).

فوضح القصد... ولم ينه عليه السلام النساء عن التزعفر فهو مباح لهن، وتقاس الأصباغ التي تستعملها النسوة حالياً عليه. على أن لا يرى الأجنبي المرأة وهي على تلك الحال.

أما ما يمنع من الأصباغ نفوذ الماء تحته كطلاء الأظافر، وبعض طلاء الوجه مما فيه مواد دهنية وبعض أنواع الكحل التي تمنع نفوذ الماء، وبالتالي تمنع صحة الطهارة (من وضوء وغسل) وما يترتب عليها من عدم صحة الصلاة... فهذه وأمثالها يجب ازالتها كلياً ثم الطهارة(٢).

وهكذا راعى الإسلام طبيعة المرأة والتي تحب أن تظهر أكثر جمالاً ورقة فأباح لها بعضاً مما حرمه على الرجل مراعاة للنفس البشرية.

---

(١) فتح الباري جـ ٤٢١/١٢.

(٢) وفي الأسواق تباع مزيلات (المكياج) ولا بد للمسلمة التي تتزين من اقتنائها حرصاً على صحة طهارتها.

ثالثًا: الزينة المحرمة

١ - حلق الشعر والقول في تقصيره:

حلق الشعر حرام. فقد روى أبو موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق»[١].

«وعن قتادة عن عكرمة قال: نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها. وقال الحسن هي مثلة. قال الأثرم: سمعت أبا عبدالله يسأل عن المرأة تعجز عن شعرها وعن معالجته، أتأخذه على حديث ميمونة؟ قال: لأي شيء تأخذه؟.

قيل له: لا تقدر على الدهن وما يصلحه، وتقع فيه الدواب. قال: إذا كان لضرورة فأرجو أن لا يكون به بأس»[٢].

أما تقصيره: فالأصل عدمه. لأن الشعر زينة وجمال.

والنسوة أحوج الناس إليه، فإن جرت العادة بتقصيره فيجوز[٣].

لكن ذلك ظاهر فيما لم يكن به تشبه بالرجال، للنهي عن التشبه بهم وإلا إن كان به تشبه بهم فيحرم.

---

(١) رواه مسلم. شرح صحيح مسلم جـ٢/١١١/ الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة الحالقة: التي تحلق شعرها عند المصيبة. والخارقة التي تخرق ثوبها عند المصيبة

(٢) المغني ج ١/٩٠.

(٣) حاشية غاية المأمول على التاج جـ ٣/١٥٥.

٢ - وصل الشعر:

وهو حرام لما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن لي ابنة عُرَيّساً أصابتها حصبة، فتحرق شعرها، افأصله؟.

فقال: لعن الله الواصلة والمستوصلة[1].

أما الواصلة: فهي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر.

والمستوصلة: هي التي تطلب من يفعل بها ذلك وهذا الحديث صريح في تحريم الوصل، ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقاً.

فوصل الشعر من المعاصي للعن فاعلته، والمعينة على الحرام تشارك في الإثم كما تشارك المعاونة على الطاعة في ثوابها. وفي الحديث تحريم الوصل سواء كان لضرورة أو عروس أو نحوه.

وقد رئي معاوية بن أبي سفيان عام حج وهو على المنبر وتناول قصة من شعر كانت في يد حرسي. يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم»[2].

لكنه اتباع سنن من قبلنا حتى لو دخلوا حجر ضب دخلته هؤلاء النسوة معهم. وقلدنهم فيا يودي إلى التهلكة. ونسأل الله العافية فوصل الشعر بما يسمى (الباروكة) حرام للأحاديث، ولما فيه من تدليس سواء كانت المرأة متزوجة أم لا. - لحديث العريس السابق - وصنع بإذن الزوج أو بغير إذنه - فالإذن لا يحل الحرام - سواء كان ما وصلت به شعراً حقيقياً أو ما يبدو للناظر أنه شعر.

---

(١) شرح صحيح مسلم ج ١٤/١٠٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤/١٠٧/١٠٨.

«أما التي تضفر غدائرها بخيط من حرير أو صوف أو كتان أو قطن أو سير - جلد - أو ذهب فليست واصلة ولا إثم عليها لأن هذا من باب الزينة المباحة »[١].

٣ - الوشم:

وهو غرز إبرة او مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم، ثم يحشى ذلك الموضع بالكحل فيخضر وهو حرام. لما روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله. قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فاتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. فقال عبدالله: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله. فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته.

فقال: لئن كنت قرأتية لقد وجدتيه[٢]. قال الله عز وجل: ﴿وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.

ومن وشمت فدليل توبتها أن تتخلص من الوشم إن لم يكن في ذلك ضرر عليها.

٤ - الوشر:

وهو تحديد الاسنان وترقيقها تفعله المرأة الكبيرة تتشبه بحديثة السن. وهو حرام لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) المحلى لابن حزم ٤/٧٩.
(٢) رواه مسلم.

رسول الله ﷺ ينهي عن النامصة والواشرة والواصلة والواشمة إلا من داء »[1].

وفي قوله إلا من داء يقصد كأن تكون للمرأة زوائد مؤلمة في أسنانها تتضرر بها فيجوز بترها. أما من أجل الجمال فلا يجوز لما في ذلك من تغيير لخلق الله تعالى.

٥ - التنميص:

وهو حرام لحديث ابن مسعود السابق، وكذلك لما مر من حديث ابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وقد اختلف في تفسير التنميص: فقد ذكر الشوكاني: أن النامصة هي التي تستدعي نتف الشعر من وجهها.

وقال بعضهم: هي التي تحف الحاجب حتى يصير رقيقاً.

وقال بعضهم: هي التي تنتف الشعر بالنماص (الملقاط) من وجهها أو جبينها[2].

أما إذا نبت للمرأة لحية أو شارب فهل تحرم إزالتها؟.

الجواب: لا تحرم الإزالة. ذلك لأن الحالة الطبيعية للمرأة أن لا يكون لها ذلك. فوجود الشارب أو اللحية للمرأة لا يقلان عن الداء فتستحب إزالتها لحديث ابن مسعود رضي الله عنه:

سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النامصة ... إلا من داء.

وإلى هذا ذهب النووي فقال: النامصة هي التي تزيل الشعر من الوجه والمتنمصة التي تطلب فعل ذلك.

---

(١) رواه أحمد ينظر نيل الأوطار ج ٢٠٢/٦.
(٢) حاشية غاية المأمول/ على التاج الجامع للأصول ١٥٨/٣.

وهذا الفعل حرام. إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب فلا تحرم إزالتها بل يستحب وإن النهي إنما هو في الحواجب وما في أطراف الوجه »(١).

وواضح أن حكم النامصة لا ينسحب على نتف مواضع أخرى سوى الوجه بل إن إزالة الشعر في بعض المواطن من سنن الفطرة كما مر سابقاً.

٦ - عمليات التجميل التي فيها تغيير الخلقة:

إن عمليات التجميل قد تكون بقصد إعادة الخلقة إلى الحالة الطبيعية للإنسان العادي. وقد تكون لتغيير الخلقة العادية للإنسان حسب رغبة من تريد تغييرها:

أ - فإن خلقت طفلة وفيها عاهة ما - أو إن ظهرت لها عاهة مشوهة بعد الخلق، كأن برزت لها غدة دهنية زائدة في الوجه أو مكان آخر من الجسم. أو ظهرت بقع سوداء أو غير ذلك مما يشوه الشكل. ولا توجد في الإنسان العادي. فهنا لا تحرم الإزالة إذا أمكنت إزالتها بلا خطر.

لأن هذه وأمثالها داء لا يجوز إزالته وقد تستحب لما في بقائها من أثر سيء في النفس وشعور بالنقص والضعة.

ب - أما عمليات التجميل التي تقوم بها سويات الخلقة، من أجل هوى متبع، وبقصد الإغراء، كرفع أرنبة الأنف مثلا، أو خفضها وشد الوجه وغيرها من عمليات التجميل. فهي حرام لحديث ابن عمر

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١٤/١٠٧.

السابق - لما في ذلك من تغيير لخلق الله تعالى، كما وان التغيير في خلق الله إنما هو من عمل الشيطان وتضليله قال تعالى في حقه:

وقال الشيطان: ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾(٢).

٧ - تعظيم الشعر (نفشه):

وهو حرام لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: **قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»(٣).

وهذا الحديث من معجزات النبوة فالصنفان موجودان حالياً. وفي ذلك برهان أنه عليه الصلاة والسلام ما ينطق عن الهوى وأنه مؤيد بالوحي. وفي الحديث ذم هذين الصنفين.

---

(١) سورة النساء، الآيات ١١٨/١١٩.

(٢) سورة الروم، آية ٣١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤/١١٠ وكذلك التعليق على الحديث.

وفي معناه: قيل كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها.

وقيل: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه.

وقيل: تلبس ثوباً رقيقاً يصف بدنها.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: مائلات: .

فقيل: معناه عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه. مميلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم.

وقيل مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن.

وقيل: مائلات: يمشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا. مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة.

ومعنى رؤوسهن كأسنمة البخت: يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوهما».

ومنه اليوم رفع الشعر أو نفشه عالياً وفي الحديث دليل على التحريم الشديد لمثل هذا ولما فيه من تدليس بتعظيم الشعر وليس كذلك.

رابعا: أمانة المجلس

بعد الزيارة الميمونة، والالتزام فيها بآداب الإسلام: نعود إلى بيوتنا فنصون حرمات المجالس لا نفشي سرها ولا ننشر ما حدث فيها ما دام الذي يجري فيها مشروعاً لحديث الرسول ﷺ «**المجلس بالامانة إلا ثلاثة مجالس.**

مجلس سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق»[١].

فهذه الأمور وحدها لا يجوز السكوت عليها وكتمانها وإلا اعتبر الساكت عليها مشاركاً في الإثم.

أما أسرار الناس الأخرى وأحاديثهم في مجالسهم فهي من الأمانات عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**إذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة**»[٢].

إن الحديث الذي تحرص المرأة أن لا يسمعه غير محدثتها هو سر وأمانة ولو أنها لم تصرح بسريته بل يكفي التلميح والإشارة حتى لو كانت لفتة منها خشية قدوم أحد أو استماع أحد آخر له. وإذاعة

---

(١) رواه أبو داود ينظر الترغيب والترهيب ج ٨٧/٣.

(٢) رواه الترمذي في البر وأبو داود في الأدب.

أحاديث الآخرين ونشرها هو من الخيانة للأمانة وعلى كتم السر ورعاية الأمانة ربت الصحابيات أولادهن فهذا أنس رضي الله عنه يقول:

أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثني في حاجة. فأبطأت على أمي. فلما جئت قالت: ما حبسك؟ فقلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة:

قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر.

قالت: لا تخبرن بسر رسول الله أحداً »[١].

وعلى احترام أمانة المجلس تربت الصحابيات:

عن عائشة رضي الله عنها في حديث الهجرة - وهي من أهم الأحداث في تاريخ الإسلام -:

قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: « **أخرج عني من عندك. وذلك ليسر له بخبر الهجرة** » قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي؟.

قال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة.

قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله قال: الصحبة. « **فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي** »[٢].

رضي الله عنك يا أبا بكر. ما أخطأ حدسك في معرفة ابنتيك فها هي اسماء ذات النطاقين رضي الله عنها وأرضاها تكتم خبر هجرة

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة.

(٢) حياة الصحابة ١/٣٣٧.

الرسول ﷺ وتتحمل لطمة أبي جهل عن أن تبوح بسرٍ كان فيه نصر الإسلام وعزته:

وعن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه: «أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع ابو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي»(١).

فليخرج قرطها بعيداً، لكنهم لن يفوزوا بكلمة تخرج من فيها، حتى لا تكون فيها خيانة للمجلس وإشاعة لسره.

لقد كانت المسلمات الأوائل مثلا أعلى للمسلمة يحسن أن تحتذيه لتزيل عن بنات جنسها صفة إذاعة الأخبار ونشرها، وكي تسلم من إثم خيانة المجلس - وحاشا المسلمة من الخيانة - وفي قصة إسلام عمر رضي الله عنه... وكانت أخته قد أسلمت قبله: «أخذت أخته فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا من الباب قراءة خباب عليها، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها؟ قالا له (فاطمة وزوجها رضي الله عنهما) ما سمعت شيئاً.

قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، رضي الله عنه.

فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها وشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك»(٢).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٤٨٧.
(٢) البداية والنهاية ج ٣/٨٠.

فاطمة أخت عمر التي حافظت على سرية الدعوة حتى مع أخيها رغم شدته هي نفسها التي حرصت على السرية حتى مع والدة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

«لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: يا أبا بكر انا قليل. فلم يزل يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ ونفر من المسلمين في نواحي المسجد. كل رجل في عشيرته.

وقام ابو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله...

وضرب أبو بكر ضرباً شديداً وحملته بنو تيم في ثوب وأدخلوه منزله ولا يشكون في موته، وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه.

فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله؟ فقالت: والله مالي علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.

فخرجت حتى جاءت أم جميل (فاطمة) فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله. فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنكِ؟ فقالت: نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً.

ولما سألها ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت:

هذه أمك تسمع (لأنها لم تكن أسلمت بعد).

قال: فلا شيء عليك منها. قالت سالم صالح[1].

---

(١) البداية والنهاية ج ٣/٣٠.

وهكذا كانت خديجة أم المؤمنين وعائشة والسابقات للإسلام رضي الله عنهن أجمعين يقدرن الأمانة ويرعينها ويحفظن السر وبمثل تلك الأخلاق، وتقدير المسئولية تنصر الأمم.

ومن الأمانات صفة المرأة فلا يجوز للمرأة أن تنعت صديقتها للرجل إلا لضرورة - كالخطبة مثلا - سواء كان نعتها مدحاً فلا تمدحها خشية الفتنة بها. أو قبحاً فيكون ذلك غيبة لها.

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «لا تباشر المرأة المرأة فَتَنْعَتُها لزوجها»(١).

ومن أعظم الامانات العلاقات الزوجية فيجب سترها وعدم البوح بشيء منها، وكبر مقتاً ما تفعله بعض التافهات من تسلية الأخريات بنشر دقائق الحياة الزوجية. وقد فاتهن أن هذه العلاقات إنما تسمو عن البهيمية بسمو النفس. وإلا فبذكر وقائعها وأوصافها لا تتميز عن الحيوانية بشيء.

لذلك جاء في الحديث الشريف التنفير من ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشر سرها»(٢).

فلنترفع عن ذكر الأحاديث الزوجية أمام الغير. لما في ذلك من سوء الأدب وعدم الحياء ولما يجره الإمعان في هذه الأحاديث من الاستهتار والمجون.

عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنها كانت عند رسول الله ﷺ والنساء قعود عنده فقال: لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله. ولعل امرأة

---

(١) عون الباري الجلد الخامس ٦٠٨.
(٢) شرح صحيح مسلم ج ١٠/ص ٨.

تخبر بما فعلت مع زوجها. فأرم القوم فقلت: أي والله يا رسول الله. إنهم ليفعلون وانهن ليفعلن.

قال: فلا تفعلوا، فإن مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانه فغشيها والناس ينظرون »[1].

وحذار حذار من الاستهانة بأمانة المجلس كشأن ذوي النفوس المريضة الذين يذيعون أسرار الآخرين. فلا هم أوتوا من الذوق السليم ما يمنعهم من إذاعتها ونشرها. ولا هم سعوا إلى تزكية نفوسهم بتهذيبها وتربيتها على خلق الاسلام ورعاية الأمانة. فيعلنونها حرباً نفسية أليمة على اصحابهم الذين أفضوا إليهم بسرهم واتمنوهم على خلجات نفوسهم.

فكانت المفاجأة ليشعروا بلدغة خيانة الرفيق ومرارة فقدان الثقة بالآخرين.

---

(١) رواه أحمد ينظر الترغيب والترهيب ج ٨٦/٣.

الخَاتِـمَة

وبعد هذا كله:

فأوقاتنا نحن المسلمات ثمينة نربأ بأنفسنا أن نذهبها هدراً، وهي عمرنا المحدود الذي نحاسب عليه.

نحكم الشرع في أعمالنا، وتكون زياراتنا في غايتها ومقصودها في رضوان الله، وكذلك في طريقة تنفيذها وحتى ما بعد هذه الزيارات.

فإن كانت الزيارة إلى عرس: فهي مشاركة في أفراح المسلمين على أن لا يكون بها ما يستوجب عدم الحضور شرعاً.

وإن كانت لمريضة: فهي دعاء ومعاونة وتذكير بالله وتخفيف لها مما تعاني.

وإن كانت لتعزية فهي مواساة ودعوة للصبر.

وإن كانت لأخت في الله. فهي تمتين لأواصر المحبة، ودعوة إلى الخير وأمر بالمعروف تعلم وتعليم. ومدارسة لأحوال المسلمين حاضرهم وماضيهم، ومستقبلهم عبرةً وتطلعاً إلى مستقبل أفضل.

نعرض ما نريد في لطف من غير إطراء، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر في غير غلظة وجفاء. نعتني بالمظهر في غير مبالغة أو سرف أو خيلاء. حشمة ووقار خارج البيت وداخله مع الالتزام بالحد الشرعي الذي لا يجوز تعديه وسعي حثيث للعمل بالأفضل.

التمسك بعفيف الكلام، فاللسان الذي يتعطر بذكر الله تعالى وتلاوة كتابه جدير أن لا يتلوث بفحش الكلام ويتدنس ببذيئة.

بعد عن المحرمات الموقعة في الهلاك مما يكب الناس في نار جهنم على مناخرهم من زلات اللسان كالغيبة والنميمة والكذب.. ونحوها تتجمل بالآداب الإسلامية في حسن اللقاء، والتلطف مع الأخريات والبعد عن الكلام القاسي والوجه المكفهر. ونتعود المجاملات الإسلامية لأنها اتباع لسلف هذه الأمة. وفيها الغنى عن رقة مستوردة قد نؤاخذ عليها.

إن التفتنا إلى حسن مظهرنا، فهو ما يتناسب مع تعاليم ديننا، شريطة أن لا تتعدى التفاتة منا بحيث لا تكون زينة الدنيا همنا. بل ترنو قلوبنا وأرواحنا إلى حلية لا تزول في الجنة - بإذنه تعالى -

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[1]

وبهذه الحلية، وإلى تزاور مع أخواتنا المؤمنات في جنة عرضها السموات والأرض تتطلع نفوسنا وتلهج ألسنتنا بالدعاء إنه سميع مجيب.

---

(١) سورة الكهف آية ٣٣.

المصادر والمراجع

اسم الكتاب	اسم المؤلف والطبعة
القرآن الكريم	
أحكام القرآن	دار الكتاب العربي/لبنان.
الإصابة	ابن حجر العسقلاني دار الكتاب العربي/لبنان.
آداب الزفاف	ناصر الدين الألباني.
أفراح الروح	سيد قطب.
الاعتصام	الامام أبي اسحاق ابراهيم الشاطبي/مكتبة الرياض الحديثة.
البداية والنهاية	لأبي الفداء الحافظ ابن كثير - دار الفكر بيروت/١٩٧٨ م.
التاج الجامع للأصول	الشيخ منصور ناصيف وعليه حاشية غاية المأمول شرح التاج إحياء الكتب العربية/عيسى الحلبي.
التفسير الكبير	الامام فخر الدين الرازي نشر دار الفكر بدمشق.

تفسير القرآن — عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي/عيسى الحلبي وشركاه مصر.

تحفة الفقهاء — للسمرقندي - مطابع دار الفكر - بدمشق.

الترغيب والترهيب — الحافظ زكي الدين المنذري مطابع قطر الوطنية/الطبعة الثالثة.

الجامع لأحكام القرآن — القرطبي طبع دار الكتب المصرية.

حجاب المرأة ولباسها في الصلاة وغيرها — ابن تيمية. منشورات المكتب الاسلامي بدمشق.

الحجاب — أبو الأعلى المودودي - دار الكتاب الحديثة/الكويت.

حياة الصحابة — محمد يوسف الكاندهلوي/الطبعة الثالثة - دار القلم ودار المنارة.

الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار — محمد عطية خميس. دار الأنصار بالقاهرة.

خلق المسلم — محمد الغزالي/ طبعة ١٤٠٠ هـ.

روضة الطالبين — الامام النووي/ المكتب الاسلامي الطبعة الثانية/١٤٠٥ هـ.

زاد المعاد — الامام ابن قيم الجوزية. الطبعة الثالثة/دار الفكر ١٩٧٣ م.

السيرة النبوية — ابن هشام/لمصطفى البابي الحلبي الطبعة الثامنة:

سنن أبي داوود — المكتبة التجارية الكبرى طبع مصر.

شرح السنة — الامام النووي طبعة المكتب الاسلامي/١٤٠٣ هـ.

شرح صحيح مسلم	للنووي/طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/١٤٠٣ هـ.
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة	اللالكائي. تحقيق د. أحمد سعد حمدان.
صيد الخاطر	ابن الجوزي.
الفتاوى	لابن تيمية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مكتبة المعارف الرباط - المغرب.
فتح القدير	محمد علي الشوكاني/دار الفكر/١٤٠١ هـ.
فتح الباري	ابن حجر العسقلاني طبعة مصطفى البابي.
في ظلال القرآن	سيد قطب الطبعة التاسعة/دار الشروق.
في النفس والمجتمع	محمد قطب.
عون الباري	ابي الطيب صديق بن حسن التنوخي البخاري/١٤٠١ هـ.
العبودية	ابن تيمية.
المبدع	ابي اسحاق برهان الدين ابن مفلح الطبعة الأولى/المكتب الاسلامي.
المحلى	ابو محمد علي بن أحمد بن حزم/ادارة الطباعة المنيرية مصر.
المجموع	النووي.
مشكاة المصابيح	محمد بن عبد الله التبريزي - تحقيق الألباني /المكتب الاسلامي.
مصنف ابن أبي شيبة	الحافظ ابي بكر ابن أبي شيبة/الدار السلفية.
المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية/١٩٦٠ م.

المغني	ابن قدامة - مكتبة الرياض طبعة ١٤٠١ هـ.
الموطأ	الامام مالك.
نيل الأوطار	محمد بن علي الشوكاني الطبعة الثالثة/مصطفى الحلبي/مصر.
النظم الاسلامية	د. صبحي الصالح - دار الكتب للملايين - طبع بيروت.
واقعنا المعاصر	محمد قطب

المحتويات

المـــوضـــوع | الصَفحَة

المقدمة ٥
تمهيد (أهمية الوقت وأضرار إضاعته) ٩
القسم الأول: أنواع الزيارات ٢٣
أولا: الزيارات الواجبة ٢٥
زيارة الوالدين ٢٥
إجابة الدعوة ٢٩
الزيارة للتعلم والتعليم ٣٢
صلة الرحم ٣٨
عيادة المرضى ٤٢
ثانيا: الزيارات المستحبة ٤٥
التعزية ٤٥
زيارة الأخوات في الله ٤٧
زيارة الجارات ٥١
ثالثاً: الزيارات الجائزة ٥٤
في العيد ٥٤

زيارة أهل الكتاب ٥٤
رابعاً: الزيارات المحرمة ٥٨
زيارة داعيات البدع ٦١
زيارة داعيات الإنحلال والأفكار المعادية للإسلام ٧٠
زيارة من عندهن منكرات لا نستطيع تغييرها ٧١
القسم الثاني: آداب الزيارة ٧٩
استئذان الزوج في الخروج ٨٣
في الطريق ٩١
اللباس الشرعي ٩١
صفات اللباس الشرعي ١١٤
هل يشترط مرافقة المحرم للمرأة أثناء ذهابها ١٢٢
آداب الزيارة في المنزل المستقبل ١٢٦
الإستئذان ١٢٦
المصافحة والتقبيل والانحناء ١٣٠
حسن الاستقبال والبشاشة ١٣٢
الضيافة ١٣٤
الأحاديث الهادفة في الزيارة ١٤١
آداب ومجاملات إسلامية ١٥٢
البعد عن زلات اللسان ١٦٨
اللباس أمام النساء ١٨٤
زينة المسلمة ١٨٨
الزينة المستحبة ١٩٠
الزينة المباحة ١٩٥
الزينة المحرمة ١٩٩

أمانة المجلس ٢٠٦
الخاتمة ٢١٣
المصادر والمراجع ٢١٥
فهرس المحتويات ٢١٩

من منشورات مكتبة السوادي/ جدة

١ - جغرافية العالم الاسلامي (١ و٢) — تأليف - د. أحمد شقليه
٢ - الضياء اللامع (مجلد وغلاف) — للشيخ ابن عثيمين
٣ - حصائد الالسن (مجموعة قصصية للاطفال) — موفق سليمة
٤ - الرد على أخطاء الصابوني — محمد بن جميل زينو
٥ - غاية النفع (لابن رجب) — تحقيق ابراهيم العرف
٦ - شرح حديث عمار (لابن رجب) — تحقيق ابراهيم العرف
٧ - ادراك الركعة بادراك الركوع — تأليف الشيخ عثمان جمعة ضميرية
٨ - عالم الغيب والشهادة في التصور الاسلامي — تأليف الشيخ عثمان جمعة ضميرية
٩ - هداية الحيارى (لابن القيم) — تحقيق مصطفى ابو النصر الشلبي
١٠ - اعلام السنة المنشورة (للحافظ الحكمي) — تحقيق مصطفى ابو النصر الشلبي
١١ - وجوب التمسك بالكتاب والسنة (للحافظ الحكمي) — تحقيق مصطفى ابو النصر الشلبي
١٢ - ست مسائل هامة في الدين (للحافظ الحكمي) — تحقيق مصطفى ابو النصر الشلبي
١٣ - نونية القحطاني — تحقيق محمد أحمد سيد أحمد
١٤ - عشرون قصيدة في الزهد — تحقيق محمد أحمد سيد أحمد
١٥ - الكلام على سورة الاخلاص (لابن رجب) — تحقيق موفق العوض
١٦ - الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة — بقلم خولة عبد القادر درويش
١٧ - ثلاثيات مؤمنة (مجموعة قصصية) — بقلم مؤمنة مصطفى الشلبي
١٨ - مسابقات وثقافات (ثقافة اسلامية) (١ و٢) — جمع واعداد اسامة بنجر
١٩ - نساء حول الرسول — بقلم محمود مهدي الاستانبولي - مصطفى ابو النصر الشلبي
٢٠ - اعراب المعلقات العشر — للشيخ محمد طه الدرة
٢١ - معلومات مهمة من الدين — محمد بن جميل زينو
٢٢ - علامات النبوة (للبوصيري) — تحقيق ام عبد الله بنت محروس العسلي
٢٣ - اركان الاسلام والايمان — محمد بن جميل زينو

٢٤ ــ دليل الخيرات وسبيل الجنات	تأليف خير الدين وانلي
٢٥ ــ معجزات المصطفى ﷺ	بقلم خير الدين وانلي
٢٦ ــ إعجاز القرآن العلمي	ت. محمود مهدي الاستانبولي
٢٧ ــ الوافي في شرح الشاطبية	تأليف عبد الفتاح القاضي
٢٨ ــ فهرس المسانيد	استخراج وترتيب أم عبد الله بنت محروس العسلي .
٢٩ ــ أدلة علو الله في خلقه	محمد أحمد سيد أحمد
٣٠ ــ إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام	تحقيق عثمان جمعة ضميرية
٣١ ــ شفاء العليل	تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي
٣٢ ــ قبسات من الطب النبوي	الدكتور حسان شمسي باشا
٣٣ ــ الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي	الدكتور حسان شمسي باشا
٣٤ ــ الشفاء بالحبة السوداء	الدكتور حسان شمسي باشا
٣٥ ــ الرضاعة من لبن الأم	الدكتور حسان شمسي باشا
٣٦ ــ مساوىء الأخلاق للخرائطي	تحقيق مصطفى الشلبي والمغربي
٣٧ ــ أسرار الختان	الدكتور حسان شمسي باشا
٣٨ ــ الدهون والقلب والكسترول	الدكتور حسان شمسي باشا

تحت الطبع

١ ــ جامع العلوم والحكم	تحقيق بالاشتراك
٢ ــ اللمعة في الأجوبة السبعة	تحقيق مصطفي أبو النصرالشلبي
٣ ــ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير	للسيوطي
٤ ــ تخريج أحاديث جامع العلوم	تحقيق مصطفى أبو النصرالشلبي
٥ ــ الطفل ذلك المجهول	محمود وباحثة الإستانبولي

دار الأصفهاني للطباعة بجدة

الناشر
مكتبة السوادي للتوزيع
ص.ب. ٤٨٩٨ جدة ٢١٤١٢

دار طيبة للنشر والتوزيع
105415
SR12.00
مكتبة الس...
هاتف: ٦٨٨٤٢١٢
SR 14